أسباب الخطأ في التفسير بالرأي
من خلال كتاب الدكتور مصطفى محمود
[محاولة لفهم عصري للقرآن]

(دراسة نقدية)

Causes of Error in Interpretation Based on Personal Opinion Through the Book of Dr. Mustafa Mahmoud: "An Attempt at a Contemporary Understanding of the Qur'an
(A Critical Study)

إعداد

د/ نور الإسلام عبد الوهاب عبد العزيز سالم

مدرس التفسير وعلوم القرآن، كلية الدراسات الإسلامية والعربية بدمنهور، جامعة الأزهر، مصر

أسباب الخطأ في التفسير بالرأي
من خلال كتاب الدكتور مصطفى محمود [محاولة لفهم عصري للقرآن]
(دراسة نقدية)

نور الإسلام عبد الوهاب عبد العزيز سالم
قسم التفسير وعلوم القرآن، كلية الدراسات الإسلامية والعربية بدمنهور، جامعة الأزهر، جمهورية مصر العربية.
البريد الالكتروني: NourSalem.2072@azhar.edu.eg

الملخص :

تهدف هذه الدراسة إلى بيان وكشف أسباب الخطأ في التفسير بالرأي من خلال كتاب الدكتور مصطفى محمود والموسوم بـ [محاولة لفهم عصري للقرآن]، وقد اعتمدتُ في هذه الدراسة على تتبع أبرز مواضع الخطأ التي وقع فيها المؤلف، ثم إرجاعها إلى أسبابها العلمية والمنهجية المقررة لدى العلماء.

وقد ظهر لي: أن من أبرز أسباب وقوع الدكتور مصطفى محمود في الخطأ في التفسير بالرأي إنما يرجع إلى القصور في أدوات التفسير من علوم اللغة وأصول الفقه، وغيرها، وتأثره بالثقافة الفلسفية، ونظريات العلم الحديث، وإغفاله الضوابط التفسيرية المعتمدة والمقررة لدى العلماء، فضلًا عن الميل إلى الرأي الشخصي، والاعتماد على الخبرة الذاتية.

وأكدت الدراسة أن: صيانة التفسير من الزلل والخطأ لا يهدف إلى محاصرة الاجتهاد والتفسير بالرأي، بل إلى السعي والحرص على ضبط التفسير بالرأي بالضوابط التي اشترط العلماء توافرها لدى المفسر؛ حتى يصير تفسيره محمودًا مقبولًا.

كما خلصُت الدراسة إلى أن: حسن المقصد وسلامة النية لا يكفيان وحدهما

في إخراج تفسير صحيح للقرآن الكريم ما دام قد افتقر المفسر إلى الضوابط المنهجية الدقيقة، والأدوات العلمية التي تعينه على التفسير الصحيح للنص القرآني.

وقد أكدت النتائج إلى: أن أيَّ قصور في تلك العلوم والضوابط لدى المفسر سيوقعه لا محالة في الخطأ والزلل والانحراف في تفسير آيات القرآن الكريم، ويصير تفسيره من قبيل الرأي المذموم كما سماه العلماء.

لذا؛ يجب على من يُقدم على تفسير كتاب الله–تعالى– أن يكون مؤهلًا للقيام بهذه المهمة العظيمة، والأمانة الثقيلة؛ حتى يظل أثر جهده ممتدًا، فينتفع العباد بتفسيره عبر الزمان، ويكون شاهدًا له لا عليه يوم القيامة.

الكلمات المفتاحية: أسباب الخطأ في التفسير، التفسير بالرأي، د مصطفى محمود، محاولة لفهم عصري للقرآن، تفسير عصري.

Causes of Error in Interpretation Based on Personal Opinion
Through the Book of Dr. Mustafa Mahmoud: "An Attempt at a Contemporary Understanding of the Qur'an (A Critical Study)

Nour Al-Islam Abdel Wahab Abdel Aziz Salem

Department of Interpretation and Qur'anic Sciences, Faculty of Islamic and Arabic Studies, Damanhur, Al-Azhar University, Arab Republic of Egypt.

Email:NourSalem.2072@azhar.edu.eg

Abstract :

This study aims to identify and uncover the causes of error in nterpretation based on personal opinion through the book of Dr. Mustafa Mahmoud titled *"An Attempt at a Contemporary Understanding of the Qur'an."* In this research, I relied on tracing the most prominent instances of error committed by the author, and then attributing them to their scientific and methodological causes as established by scholars .

It became clear to me that one of the most prominent reasons behind Dr. Mustafa Mahmoud's errors in interpretation based on opinion stems from a deficiency in the essential tools of interpretation, such as linguistic sciences, principles of jurisprudence, and others. Additionally, his influence by philosophical thought, modern scientific theories, and neglect of the interpretative guidelines established by scholars played a significant role—along with a tendency toward personal opinion and reliance on individual experience.

The study affirmed that safeguarding interpretation from error and eviation is not aimed at restricting independent reasoning (*ijtihad*) or interpretation based on opinion,

but rather at ensuring such interpretations are governed by the conditions and standards stipulated by scholars, so that the resulting interpretation is commendable and acceptable.

The study concluded that good intentions and sincerity of purpose are not sufficient on their own to produce a sound interpretation of the Holy Qur'an—as long as the interpreter lacks the precise methodological controls and scientific tools necessary for correct interpretation of the Qur'anic text.

The results also confirmed that any deficiency in those sciences and interpretive guidelines on the part of the interpreter will inevitably lead to error, deviation, and misinterpretation of Qur'anic verses, making his interpretation fall under the category of blameworthy opinion, as described by scholars.

Therefore, anyone who attempts to interpret the Book of Allah, the Exalted, must be qualified to undertake this great responsibility and heavy trust—so that the impact of their efforts endures, benefiting people through time, and serving as a testimony in their favor, not against them, on the Day of Judgment.

Keywords: Causes of interpretive error , Interpretation by personal opinion ,dr. Mustafa mahmoud , an attempt at a contemporary understanding of the qur'an ,Contemporary interpretation.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله الذي أنزل القرآن الكريم نورًا وهدىً للناس، وجعل تدبره وفهمه سبيل الرشاد، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للأنام، وعلى آله وصحبه، ومن سار على نهجه واتبع هداه.

وبعد،،

فإن تفسير القرآن الكريم يُعد من أجل وأشرف ميادين البحث العلمي وأدقها؛ وأرفعها شأنًا، وأعظمها مكانةً؛ إذ إنه يتعلق ببيان وفهم مراد الله – تعالى– من كلامه المعجز؛ واستنباط معانيه وأحكامه الشرعية التي يُهتدى بها في إصلاح شؤون الناس، واستقامة أمر دينهم ودنياهم على مر العصور والأزمان.

ومن هنا أولى العلماء هذا العلم عناية بالغة، فحرصوا على إرساء الأصول والضوابط التي تصونه وتحفظه من الخطأ والزلل والانحراف منذ القرون الأولى؛ لما له من أبلغ الأثر وأخطره على عقائد الناس وفكرهم وسلوكهم.

ومن أخطر المسالك التي تُوقِع المفسر في الخطأ والزلل: الإقدام على التفسير بالرأي، والخوض فيه دون مراعاة الضوابط التي وضعها العلماء شرطًا لمن يتصدى لتفسير القرآن الكريم.

وفي العصر الحديث ظهرت محاولات متعددة لتفسير القرآن الكريم برؤى جديدة، يغلب عليها الطابع الأدبي والفلسفي والعصري، ومن تلك المحاولات ما قدمه الدكتور مصطفى محمود في كتابه: [محاولة لفهم عصري للقرآن]، وعلى الرغم مما اتسم به من حسن النية، والرغبة في تقريب وتبسيط المعاني، إلا أن تلك المحاولة لم تسلم من الأخطاء والانحرافات في

التفسير التي مردها إلى التفسير بالرأي غير المنضبط.

وانطلاقًا من ذلك؛ جاء موضوع بحثي بعنوان (أسباب الخطأ في التفسير بالرأي من خلال كتاب الدكتور مصطفى محمود [محاولة لفهم عصري للقرآن] دراسة نقدية) بهدف الكشف عن أبرز تلك الأخطاء، وبيان أسبابها العلمية والمنهجية، وتناولها بالدراسة والنقد في ضوء ما قرره العلماء من الضوابط العلمية المنهجية السليمة التي تضمن صحة التفسير بالرأي.

والله–تعالى– أسأل أن يوفقني في هذا البحث إلى ما فيه نفع للإسلام والمسلمين.

أولًا: أسباب اختياري لموضوع البحث

١– تقديم عمل يخدم كتاب الله–تعالى– ، ويصون تفسيره من الزلل والخطأ والانحراف عند التفسير بالرأي.

٢– رصد أبرز الأخطاء التي وقعت في كتاب الدكتور مصطفى محمود [محاولة لفهم عصري للقرآن] وتحليلها ونقدها؛ تنبيهًا للقارئ حتى لا يلتبس عليه فهم المعاني، وصيانة له من الوقوع فيما قد يشوش عليه عقيدته وفكره وسلوكه، لا سيما والكتاب يُعرض في معرض الكتاب بالقاهرة، فربما يشتريه الناس لمكانة وقدر الدكتور مصطفى محمود، فيسلِّمون بكل ما فيه، فوجب التنبيه على مواطن الزلل كي لا يلتبس الصحيح بالسقيم.

٣– إظهار مدى أهمية إلمام المفسر بالشروط والعلوم الضابطة للتفسير بالرأي، حتى لا يقع في الخطأ وتحريف المعاني عن مراد الشارع الحكيم منها.

٤– بيان أن الاجتهاد في تفسير النص القرآني لا ينبغي لأي أحد مهما سلمت نيته وحسن مقصده، ما دام لم يمتلك مقومات التفسير بالرأي الصحيح.

ثانيًا: خطة البحث

اقتضت طبيعة البحث أن يتكون من مقدمة، ومبحثين، وخاتمة.

أما المقدمة فتشتمل على: أسباب اختياري للموضوع، وخطة البحث، ومنهجه.

والمحبث الأول: وعنوانه: التفسير بالرأي، ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: مفهوم التفسير بالرأي، وأقوال العلماء فيه.

المطلب الثاني: شروط التفسير بالرأي.

والمبحث الثاني: وعنوانه: أسباب الخطأ في التفسير بالرأي من خلال كتاب الدكتور مصطفى محمود [محاولة لفهم عصري للقرآن] دراسة نقدية، ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: نبذة عن المؤلف، وفكرة عن الكتاب ومحتواه.

المطلب الثاني: أسباب الخطأ في التفسير بالرأي من خلال كتاب الدكتور مصطفى محمود [محاولة لفهم عصري للقرآن] دراسة نقدية، مع التمثيل.

وأما الخاتمة: فتشتمل على أهم النتائج التي توصلت لها من خلال هذا البحث، وفهرس المصادر والمراجع، وفهرس الموضوعات.

ثالثًا: منهج البحث

اتبعت في هذا البحث المنهج الاستقرائي والتحليلي والنقدي، من خلال تتبع مواضع الخطأ في التفسير في كتاب الدكتور مصطفى محمود[محاولة لفهم عصري للقرآن]، ثم تحديد سبب الخطأ، وتناوله بالدراسة والتحليل والنقد.

واتبعت الخطوات التالية:

١- ذكرت بعضًا من أسباب الخطأ في التفسير بالرأي مكتفية بما ورد منها في كتاب الدكتور مصطفى محمود، وتناولت الأمثلة التي أوردتها

بالمناقشة والتحليل والنقد بما يبرز موضع الخطأ وسببه، مدللة على ذلك إما بأقوال العلماء المبرزين المعتبرين في علم التفسير، أو من خلال الاستنباط من أصول التفسير وقواعد الترجيح، أو مما تقتضيه الضرورة من مقاصد الشريعة الإسلامية.

٢- كتبت الآيات القرآنية برسم المصحف الشريف، وعزوتها إلى سورها فى متن البحث؛ تخفيفًا على الحاشية.

٣- خرجت الأحاديث النبوية تخريجًا علميًّا، مع ذكر حكم العلماء المختصين عليهافي غير الصحيحين.

٤- وضَّحت الكلمات الغريبة، والمصطلحات الغامضة.

٥- ضبطت بالشكل الألفاظ التي قد يُلْتبَس نُطقها وقراءتها.

٦- وثقت النصوص التى نقلتها توثيقا عمليًا دقيقًا من مصادرها الأصيلة.

٧- اكتفيت بذكر أسماء المصادر والمراجع وأسماء مؤلفيها في حواشي البحث، مع ذكر معلوماتها كاملة في فهرس المصادر والمراجع؛ تخفيفًا على الحاشية.

٨- ذيَّلت البحث بفهرس المصادر والمراجع العلمية.

*****

المبحث الأول: التفسير بالرأي

المطلب الأول: مفهوم التفسير بالرأي، وأقوال العلماء فيه

التفسير لغة: من الفَسْرُ: وهو الْبَيَانُ، والإضاحة، والكشف، يقال: فَسَر الشيءَ يفسِرُه، بالكَسر، ويفْسُرُه، بِالضَّمِّ، فَسْراً وفَسَّرَهُ: أَبانه، والتَّفْسيرُ مِثْلُهُ، والفَسْرُ أيضًا: كَشْفُ المُغَطّى[1].

التفسير اصطلاحًا: عِلْمٌ يُعْرَفُ بِهِ فهم كتاب الله-تعالى- المنزل على نبيه محمد-ﷺ-وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحكمه، واستمداد ذلك من علم اللغة، والنحو، والتصريف، وعلم البيان، وأصول الفقه، والقراءات، ويحتاج لمعرفة أسباب النزول، والناسخ والمنسوخ[2].

وعرفه الذهبي فقال: " علم يبحث عن مراد الله-تعالى- بقدر الطاقة البَشرية، فهو شامل لكل ما يتوقف عليه فهم المعنى، وبيان المراد" [3] .

الرأي في اللغة: من الفعل رأى، يطلق على الاعتقاد، وَالْعقل، وَالتَّدْبِير، وَالنَّظَر، والتأمل[4].

واصطلاحًا: يطلق على الاجتهاد، ومنه أُطلق على أهل القياس[5]:

---

(١) **ينظر مادة:(فسر) في:** مقاييس اللغة لابن فارس(٤/ ٥٠٤)، لسان العرب لابن منظور (٥/ ٥٥).

(٢) **ينظر** : البرهان في علوم القرآن للزركشي(١/ ١٣).

(٣) التفسير والمفسرون لمحمد حسين الذهبي (١/ ١٤).

(٤) **ينظر مادة:(رأى) في:** لسان العرب لابن منظور (١٤/ ٣٠٠)، المعجم الوسيط (١/ ٣٢٠)، معجم اللغة العربية المعاصرة- (٢/ ٨٣٨).

(٥) **القياس:** لغة: رد الشَّيْء إِلَى نَظِيره، وفي اصطلاح الفقهاء: أن يلحق المجتهد فرع بأصل في الحكم الشرعي الثابت له؛ لاشتراكهما في علة الحكم، كَالْحكمِ بِتَحْرِيم شراب مُسكر حملا على الْخمر؛ لاشْتِرَاكهمَا فِي عِلّة التَّحْرِيم، وَهُوَ الْإِسْكَار.

ينظر: أصول الفقه الذي لا يسع الفقيه جهله (ص: ١٤٢)، المعجم الوسيط =

أهل الرأي؛ لأَنهم يَقُولُونَ برأيهم فِيمَا لم يَجدوا فِيهِ حَدِيثا أَو أثرا [١].

التفسير بالرأى في اصطلاح المفسرين: عبارة عن تفسير القرآن بالاجتهاد بعد معرفة المفسِّر لكلام العرب ومناحيهم فى القول، ومعرفته للألفاظ العربية ووجوه دلالاتها، واستعانته فى ذلك بالشعر الجاهلى، ووقوفه على أسباب النزول، ومعرفته بالناسخ والمنسوخ من آيات القرآن، وغير ذلك من الأدوات التى يحتاج إليها المفسِّر [٢] .

أقوال العلماء في التفسير بالرأي:

اختلف العلماء في التفسير بالرأي إلى قولين:

منهم من منع، ومنهم من أجاز.

أولًا: القائلون بالمنع استندوا إلى ما يلي:

١- قوله-تعالى-: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ﴾ [الإسراء:٣٦] .

٢- قوله-تعالى-: ﴿ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأعراف:٣٣] وهو معطوف على ما قبله من المحرَّمات فى قوله-تعالى-﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾ [الأعراف:٣٣].

٣- ما جاء عن رسول الله-ﷺ- أنه قال:« مَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ بِرَأْيِهِ فَأَصَابَ فَقَدْ أَخْطَأَ» [٣]

=

(٢/ ٧٧٠).

(١) **ينظر**: الكليات لأبي البقاء الكفوري (ص: ١٣١).

(٢) **ينظر**: التفسير والمفسرون لمحمد حسين الذهبي (١/ ١٨٣).

(٣) رواه الترمذي في سننه، كتاب: تفسير القرأن، بَابُ: مَا جَاءَ فِي الَّذِي يُفَسِّرُ الْقُرْآنَ بِرَأْيِهِ (٥/ ٢٠٠) حديث: (٢٩٥٢) عن سُهَيْلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ابْنُ أَبِي حَزْمٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا =

٤- ما ورد عن النَّبِيِّ -ﷺ- أنه قَالَ: «اتَّقُوا الحَدِيثَ عَنِّي إِلَّا مَا عَلِمْتُمْ، فَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ، وَمَنْ قَالَ فِي القُرْآنِ بِرَأْيِهِ؛ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ» (١).

٥- ما ورد عن أبي بكر الصديق-رضي الله عنه- أنه سُئِلَ عَنْ قَوْلِهِ: ﴿ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ ﴾ [عبس:٣١]، فَقَالَ:« أَيُّ سَمَاءٍ تُظِلُّنِي، أَوْ أَيُّ أَرْضٍ تُقِلُّنِي إِنْ أَنَا قُلْتُ فِي كِتَابِ اللَّهِ مَا لَا أَعْلَمُ؟ (٢) .

٦- ما روي عن سعيدَ بن المسيَّب أنه كان يُسأل عن الحلال والحرام، وكان أعلم الناس فيتكلم، فإذا سُئل عن تفسير آية من القرآن سَكَتَ كأن لم يسمع»(٣) .

=

أَبُو عِمْرَانَ الجَوْنِيُّ، عَنْ جُنْدَبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ مرفوعا.

قال الترمذي: «هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ، وَقَدْ تَكَلَّمَ بَعْضُ أَهْلِ الحَدِيثِ فِي سُهَيْلِ بْنِ أَبِي حَزْمٍ، وَهَكَذَا رُوِيَ عَنْ بَعْضِ أَهْلِ العِلْمِ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ -ﷺ-وَغَيْرِهِمْ، أَنَّهُمْ شَدَّدُوا فِي هَذَا فِي أَنْ يُفَسَّرَ القُرْآنُ بِغَيْرِ عِلْمٍ، وَأَمَّا الَّذِي رُوِيَ عَنْ مُجَاهِدٍ وَقَتَادَةَ وَغَيْرِهِمَا مِنْ أَهْلِ العِلْمِ أَنَّهُمْ فَسَّرُوا القُرْآنَ، فَلَيْسَ الظَّنُّ بِهِمْ أَنَّهُمْ قَالُوا فِي القُرْآنِ أَوْ فَسَّرُوهُ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَوْ مِنْ قِبَلِ أَنْفُسِهِمْ، وَقَدْ رُوِيَ عَنْهُمْ مَا يَدُلُّ عَلَى مَا قُلْنَا، أَنَّهُمْ لَمْ يَقُولُوا مِنْ قِبَلِ أَنْفُسِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ» .

(١) رواه الترمذي في سننه، كتاب: تفسير القرأن، بَابُ: مَا جَاءَ فِي الَّذِي يُفَسِّرُ القُرْآنَ بِرَأْيِهِ (٥/ ٢٠٠) حديث: (٢٩٥١) عن ابن عباس ، وقال الترمذي: «هَذَا حَدِيثٌ حسن» .

(٢) أخرجه أبو عبيد القاسم بن سلام في فضائل القرآن (ص: ٣٧٥)، والطبري في جامع البيان (١/ ٧٨).

(٣) رواه الطبري في جامع البيان (١/ ٨٦) عن يزيد بن أبي يزيد.

٧- ما نُقِل عن الإمام مالك أنه قال: « أَلَا أُوتَى بِرَجُلٍ غَيْرِ عَالِمٍ بِلُغَاتِ الْعَرَبِ يُفَسِّرُ ذَلِكَ[١] إِلَّا جَعَلْتُهُ نَكَالًا[٢]»[٣].

ثانيًا: المجيزون للتفسير بالرأي ردوا على المانعين مستدلين بما يلي:

١- أن القرآن الكريم مليء بالنصوص التي تدعو إلى التدبر والاتعاظ والتفكر في آياته الكريمة.

ومن أمثلة ذلك:

قوله -تعالى-: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾ [محمد:٢٤].

وقوله -ﷻ-: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ ﴾ [النساء:٨٣] ، فقد دلّت هذه الآية على أن فى القرآن الكريم ما يُفَهم عن طريق ما يستنبطه أُولوا الألباب باجتهادهم، وإعمال عقولهم.

وما دام الله -ﷻ- قد حثَّنا على التدبر، وتعبَّدنا بالنظر فى القرآن واستنباط الأحكام منه، فهل يقال بعد ذلك: إن تأويل ما لم يستأثر الله -تعالى- بعلمه محظور على العلماء؟ إنه لو كان ذلك، لكنَّا مُلْزَمين بالاتعاظ

---

(١) أي القرآن.

(٢) **النكال:** الْعُقُوبَةُ الَّتِي تَنْكُلُ الناسَ عَنْ فِعل مَا جُعِلَت لَهُ جَزاءً، ويقال: نَكَّلَ به تَنْكيلاً، إذا جعله نَكالاً وعِبْرَةً لغيرِهِ.

ينظر مادة:(نكل) في: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري(٥/ ١٨٣٥)، النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (٥/ ١١٧).

(٣) رواه البيهقي في شعب الإيمان، باب: تعظيم القرآن، فصل: ترك التفسير بالظن (٣/ ٥٤٣) أثر: (٢٠٩٠) .

والاعتبار بما لا نفهمه، ولما توصلنا لشيء من الاستنباط، ولما فُهِم الكثير من كتاب الله–تعالى–[1].

أما النهي الوارد في الآيتين اللتين استند إليها المانعون، فهما يتعلقان بالنهي عن القول بالظن في حال إن أمكن الوصول إلى العلم اليقيني القطعي، كأن يوجد نص قاطع من نصوص الشرع، أو دليل عقلي موصل لذلك[2].

٢– أن النهي الوارد في الحديثين إنما هو محمول على أحد وجهين:

الوجه الأول:

إما لمن عرف الحق، لكن له ميْل في الشيء من طبعه وهواه، فيتأوَّل القرآن على وفْقِ رأيه وهواه؛ ليحتجَّ على تصحيح غرضه، ولو لم يكن له ذلك الرأي والهوى لما ذهب في تفسيره إلى ذلك المعنى.

وإما لمن كان جاهلا بالحق، وذلك إذا كانت الآية محتملة، فيميل إلى الجانب الذي يوافق هواه، فيكون قد فسَّرَ برأيه، أي أن رأيُه هو الذي حمله على ذلك التفسير.

وإما لمن كان له غرض صحيح، فيطلب دليلاً من القرآن، فيستدل به وهو يعلم أنه لم يُرَد به ذلك، كمَن يدعو إلى مجاهدة القلب القاسي، فيقول: قال الله –تعالى–: ﴿ ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ ﴾ [طه:٢٤] ويشيرُ إلى قلبه، ويومئُ إلى أنه المراد بفرعون.

(١) **ينظر**: التفسير والمفسرون لمحمد السيد حسين الذهبي(١/ ١٨٧).

(٢) **ينظر**: المرجع السابق (١/ ١٨٤).

وهذا النوع استعمله بعض الوعاظ؛ ترغيبًا في كلامهم، واستعملته الباطنية في دعوة الناس إلى مذهبهم الباطل، فَيُنَزِّلون القرآن على وفق رأيهم ومذهبهم، وهم يعلمون أنه مخالف لمراد الشارع الحكيم.

وهذا ما قرره الْبَيْهَقِيُّ حينما عقب على الحديث الأول بأنه إن صح، فإنما أراد الله–تعالى– أعلم الرأي الذي يغلب على القلب من غير دليل، فمثل هذا الذي لا يجوز تفسير القرآن به، وأما الرأي الذي يشده برهان فتفسير القرآن به جائز[١].

الوجه الثاني:

أن النهى محمول على مَنْ يقول فى القرآن بظاهر العربية، دون النقل والسماع فيما يتعلق بغريب القرآن، وما فيه من المبهمات، والحذف، والاختصار، والإضمار، والتقديم والتأخير، ومعرفة الناسخ والمنسوخ، وما إلى ذلك من كل الأمور الواجب معرفتها لمن يتكلم فى التفسير، فإنَّ النظر إلى ظاهر العربية وحده لا يكفى، بل لا بد منه أولاً، ثم بعد ذلك يكون التوسع فى الفهم والاستنباط.

فمثلاً قوله–تعالى–: ﴿وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُواْ بِهَا﴾ [الإسراء:٥٩] معناه: وآتينا ثمود الناقة معجزة واضحة، وآية بيِّنة على صدق رسالته، فظلموا بعقرها أنفسهم، ولكن الذي يقف عند ظاهر اللغة العربية وحدها بدون أن يستظهر بشئ مما تقدَّم، يظن أن ﴿مُبْصِرَةً﴾ من الإبصار بالعين، وهو حال من الناقة، أي أنها كانت مبصرة ولم تكن عمياء، ولا يدرى بعد ذلك بِمَ ظلموا، ولا مَنْ ظلموا[٢].

---

(١) **ينظر**: شعب الإيمان (٣/ ٥٤٠) بتصرف.

(٢) **ينظر**: جامع الأصول لابن الأثير أبي السعادات(٢/ ٥)، التفسير والمفسرون لمحمد =

٣-أن تلك الآثار الواردة عن أئمة السلف محمولة على تحرجهم عن الكلام في التفسير بما لا علم لهم به، فهذا هو الرأي المذموم؛ أما من تكلم بما يعلم من ذلك لغة وشرعًا، فلا حرج عليه؛ ولهذا نُقل عن السلف وغيرهم أقوال في التفسير، ولا منافاة في ذلك؛ لأنهم تكلموا فيما علموه، وسكتوا عما جهلوه، وهذا هو الواجب على كل أحد؛ أن يتكلم فيما يعلم، ويكف عما لا يعلم، فكما يجب السكوت عما لا علم له به، فكذلك يجب القول فيما يُسأل عنه مما يعلمه، لقوله-تعالى-: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ [آل عمران:١٨٧] [(١)].

٤-أن النهى محمول على مَنْ قال برأيه فى نحو مشكل القرآن، ومشتابهه، وكل ما لم يُعلم إلا عن طريق النقل عن النبى- ﷺ-والصحابة-عليهم رضوان الله تعالى-[(٢)].

٥-أن النبى -ﷺ-دعا لابن عباس-رضى الله عنهما-، فقال: «اللَّهم فقهه فى الدين، وعلِّمه التأويل»[(٣)]، فلو كان التأويل مخصوصًا بالسماع والنقل، لما كان هناك فائدة لتخصيص ابن عباس-رضي الله عنه- بهذا الدعاء،

=

السيد حسين الذهبي(١/ ١٨٥).

(١) **ينظر**: المحرر الوجيز لابن عطية (١/ ٤١)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ١٣).

(٢) **ينظر**: التفسير والمفسرون لمحمد السيد حسين الذهبي (١/ ١٨٥).

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين (٣/ ٦٤)، كِتَابُ: مَعْرِفَةِ الصَّحَابَةِ-رضي الله عنهم-باب: ذِكْرُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسِ بنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- (٣/ ٦١٥) حديث: (٦٢٨٠) قال الحاكم: " هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ "، وقال الذهبي: صحيح.

فدل ذلك على أن المراد بالتأويل الوارد في الدعاء أمرٌ آخرٌ غير النقل والسماع، وما هو إلا التفسير بالرأى والاجتهاد، وهذا بَيِّنٌ واضح لا إشكال فيه(١).

من هنا نلخص إلى ما يلي:

التفسير بالرأي نوعان: نوع محمود ونوع مذموم.

أولًا: التفسير بالرأي المحمود: "هو ما كان موافقًا لمراد الله-تعالى-، بعيدا عن كل ضلالة وجهالة، موافقًا لقواعد اللغة العربية، متفهما لأساليبها في عرض الآيات القرآنية، خاليا من الهوى والسمعة، فمن فسر على هذه الشروط كان تفسيره جائزا سائغًا مفيدًا".

ثانيًا: التفسير بالرأي المذموم:" وهو أن يفسر القرآن بدون علم عنده، أو يفسره حسب هواه ومقتضى مذهبه، مع جهله بمعرفة لغة العرب، أو التشريعات الإلهية، أو يحمل كلام الله-تعالى- على معنى لا يليق به، أو يخوض في الأشياء التي استأثر الله- تعالى- بعلمها، ويجزم بأن المراد من كلام الله-ﷻ- كذا وكذا على غير حق، ولا شك أن صاحب هذا التفسير يأثم بهذا العمل" (٢).

فعلى المفسر أن يحذر جيدًا من الوقوع في تلك المزالق عند التفسير، وإلا سيفضي به ذلك إلى ارتكاب أخطاء جسيمة عند تفسيره بالرأي.

*****

(١) **ينظر**: التفسير والمفسرون لمحمد السيد حسين الذهبي (١/ ١٨٨).

(٢) **ينظر**: نفحات من علوم القرآن لمحمد أحمد معبد (ص: ١٣٧).

المطلب الثاني: شروط التفسير بالرأي

مما سبق اتضح لنا أن التفسير بالرأي منه ما هو جائز مقبول، وهو المُسَمَّى بالرأي المحمود، ومنه ما هو غير جائز، وهو المُسَمَّى بالرأي المذموم، وقد وضع العلماء شروطًا وضوابطًا للتفسير المقبول؛ لضمان صحة التفسير، وسلامته من الخطأ، فإنه بامتلاك المفسر لتلك الشروط يتحول تفسيره من مجرد رأي شخصي إلى تفسير معتمد وموثوق به.

أهم هذه الشروط:

منها: صحة الاعتقاد ولزوم سنة الدين:

فإن من كان متهما في دينه: لا يؤتمن على الدنيا، فكيف على الدين؟! ثم إنه لا يؤتمن على الإخبار عن عالِم، فكيف يؤتمَن في الإخبار عن أسرار الله–تعالى– ومعانيه المرادة في الآيات القرآنية؟!.

فإن كان متهما بالإلحاد: لا يؤتمن أن يَبْغِيَ الفتنة، ويشوش على الناس عقائدهم بِلَيِّهِ وخداعه.

وإن كان متهمًا بهوى أو بمذهب فاسد: فإنه لا يؤتمن أن يفسر القرآن بما يوافق هواه أو مذهبه الباطل، فيلبس على الناس أمر دينهم ودنياهم.

ومنها: صحة المقصد فيما يقول ليلقى التسديد:

قال– تعالى–: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ ﴾ [العنكبوت:٦٩]

ويتحقق صحة القصد: إذا زهد المفسر في الدنيا؛ لأنه إن رغب فيها لا يؤتمن أن يتوسل بتفسيره إلى عرض يَصُدُّهُ عَنْ صواب القصد، فيفسد عليه صحة عمله [١].

---

(١) **ينظر**: الإتقان في علوم القرآن للسيوطي، النوع الثامن والسبعون: في معرفة شروط المفسر وآدابه (٤/ ٢٠٠) .

ومنها: أن يكون على معرفة كافية بالعلوم التي يحتاج إليها المفسر:

فقد اشترط العلماء على من يتصدى لتفسير القرآن الكريم أن يكون ملمًّا بخمسة عشر علمًا:

أحدها: اللغة العربية: لأن بها يعرف شرح مفردات الألفاظ ومدلولاتها بحسب الوضع، ولا يكفي في حق المفسر معرفة اليسير منها، فقد يكون اللفظ مشتركا، وهو يعلم أحد المعنيين، والمراد الآخر.

الثاني: النحو؛ لأن المعنى يتغير ويختلف باختلاف الإعراب.

الثالث: التصريف؛ لأن به تعرف الأبنية والصيغ، فمن قال إن الإمام في قوله- تعالى-: ﴿ يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْۖ ﴾ [الإسراء:٧١]، جمع (أم)، وأن الناس يدعون يوم القيامة بأمهاتهم دون آبائهم، هذا غلط أوجبه جهل بالتصريف فإن (أُمًّا) لا تجمع على (إمام).

الرابع: الاشتقاق؛ لأن الاسم إذا كان اشتقاقه من مادتين مختلفتين، اختلف المعنى باختلافهما، كالمسيح هل هو من السياحة أو المسح؟

الخامس والسادس والسابع: المعاني والبيان والبديع؛ لأنه يُعرف بالأول: خواص تراكيب الكلام، من جهة إفادتها المعنى، وبالثاني: خواصها من حيث اختلافها بحسب وضوح الدلالة وخفائها، وبالثالث: وجوه تحسين الكلام، وهذه العلوم الثلاثة هي علوم البلاغة.

الثامن: علم القراءات؛ لأن به يعرف كيفية النطق بالقرآن، وبالقراءات يترجح بعض الوجوه المحتملة على بعض.

التاسع: أصول الدين : من حيث معرفة ما يجب، وما يجوز، وما يستحيل في حق الله-تعالى-.

العاشر: أصول الفقه؛ إذ به يعرف وجه الاستدلال على الأحكام والاستنباط.

الحادي عشر: أسباب النزول والقصص؛ لما له من أثر كبير في توضيح المعنى المراد.

الثاني عشر: الناسخ والمنسوخ؛ ليعلم المحكم من غيره.

الثالث عشر: الفقه.

الرابع عشر: الأحاديث المبينة لتفسير المجمل والمبهم.

الخامس عشر: علم الموهبة : وهو علم يورثه الله-تعالى- لمن عمل بما علم، ولا يناله من في قلبه بدعة، أو كبر، أو حب دنيا، أو ميل إلى المعاصي، قال- تعالى-: ﴿ سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ ﴾ [الأعراف:١٤٦]"[(١)].

وقال الإمام الشافعي:

شكوت إلى وكيع سوء حفظي ... فأرشدني إلى ترك المعاصي

وأخبرني بأن العلم نور ... ونور الله لا يهدى لعاصي[(٢)].

وقد ذكر الزرقاني المنهج السليم والخطوات الواجب اتباعها عند التفسر بالرأي، فقال ما ملخصه:

أولًا: أن يطلب التفسير من القرآن، فإن لم يجده طلبه من السنة؛ لأنها شارحة للقرآن، فإن لم يجد رجع إلى قول الصحابة؛ لأنهم عرب خلص، عايشوا التنزيل وشاهدوا وقائعه، فضلًا عما امتازوا به من علم وعمل وخير[(٣)].

---

(١) **ينظر**: الإتقان في علوم القرآن للسيوطي، النوع الثامن والسبعون: في معرفة شروط المفسر وآدابه (٤/ ٢١٣).

(٢) من الوافر التام. **ينظر**: ديوان الإمام الشافعي (ص: ٦١).

(٣) لم يذكر الزرقاني ما أُثر عن التابعين؛ لأنه أورد في موضع آخر أن فيه خلافًا بين العلماء، فمنهم من اعتبره من المأثور؛ لأنهم تلقوه من الصحابة غالبًا، ومنهم من =

ثانيا: فإن لم يجد المفسر المعنى فيما سبق، وجب عليه أن يجتهد وسعه متبعًا ما يلي:

١- البدء بتحليل الألفاظ المفردة من اللغة ملاحظًا المعاني المستعملة زمن نزول القرآن الكريم.

٢ – الانتقال إلى دراسة التراكيب من جهة الإعراب، والبلاغة، مع استحضار الذوق البياني.

٣ – تقديم المعنى الحقيقي على المجازي بحيث لا يصار إلى المجاز إلا إذا تعذرت الحقيقة.

٤- ملاحظة سبب النزول، ثم الانتباه للتناسب بين الجمل في الآية الواحدة، وبين الآيات وبعضها.

٦ – مراعاة السياق العام من الكلام؛ لمعرفة المعنى المراد.

٧ – أن يكون التفسير مطابقًا للمفسر دون زيادة أو نقصان.

٨ – مطابقة التفسير لما هو معروف من علوم الكون، وسنن الاجتماع، وتاريخ البشر العام، وتاريخ العرب الخاص أيام نزول القرآن.

٩ – مطابقة التفسير لما كان عليه النبي -ﷺ- في هديه وسيرته؛ لأنه هو الشارح المعصوم للقرآن بأقواله وأفعاله وتقريراته.

١٠ – بيان المعانى والأحكام المستنبطة في حدود قوانين اللغة، والشريعة، والعلوم الكونية.

١١ – اعتماد قواعد الترجيح عند احتمال أكثر من رأي في التفسير[١].

=

قال: إنه من التفسير بالرأي. **ينظر**: مناهل العرفان في علوم القرآن (٢/ ١٣) .

(١) **ينظر**: مناهل العرفان في علوم القرآن (٢/٥٩-٦٠) .

بعد أن عرفنا العلوم الواجب توافرها لدى المفسر وعرفنا الخطوات التي يجب أن يسلكها عند التفسير بالرأي، فإن أيَّ قصور من المفسر في معرفة تلك العلوم والإلمام بها يُفضي به لا محالة إلى الوقوع في خطأ وخلل في تفسير النص القرآني، مما يؤدي إلى الانحراف عن مقصود الله – تعالى– في الآيات القرآنية.

علمًا بأن: " التفسير بالرأي حتى مع استيفائه جميع الشروط التي تجعله محمودًا لا مسوغ له إذا عارضه التفسير بالمأثور الذي ثبت لنا بالنص القطعي؛ لأن الرأي اجتهاد، ولا مجال للاجتهاد في مورد النص، أما إذا لم يكن تعارض بين التفسير بالرأي والتفسير بالمأثور فكل منهم يؤيد الآخر ويثبته، وذلك أكثر ما نجده في كتب التفسير"[1].

الخلاصة:

مما سبق نخلص إلى أنه:

ينبغي على المفسر بالرأي كي يسلم تفسيره من الأخطاء،أن يلتزم ما يلي:

١–استيفاء العلوم المذكورة آنفًا والتي اشترطها العلماء لمن يفسر بالرأي.

٢–اتباع الخطوات المنهجية السليمة للتفسير بالرأي التي ذكرها الشيخ الزرقاني آنفًا.

٣–تجنب تحميل معاني النصوص القرآنية على المذاهب الفاسدة، أو تفسيرها بمجرد الاستحسان والهوى.

٤–عدم القطع بأن مراد الله كذا من غير دليل.

(١) **ينظر**: مباحث في علوم القرآن لصبحي الصالح (ص: ٢٩٣).

٥-توخي الحذر عن الخوض فيما استأثر الله-تعالى- بعلمه كمعرفة حقيقة ذاته، وصفاته، والغيبيات التي لا يعلمها إلا هو، وهذا النوع لا يجوز الكلام فيه لأحد إجماعًا[١].

٦-امتناع الكلام في الأمور التي لا يجوز الكلام فيها إلا بطريق السماع، كالكلام في الناسخ والمنسوخ، والقراءات، وقصص الأمم الماضية، وأسباب النزول، وأخبار الحشر، والنشر، والمعاد[٢].

وقبل كل هذا لا بد أن يتوافر لدى المفسر صحة الاعتقاد، وحسن النية، وسلامة المقصد.

من هنا يتضح أن أسباب الخطأ في التفسير بالرأي إجمالًا هي:

١- التعصب المذهبي واتباع الهوى عند التفسير.

٢- الجهل بعلوم اللغة العربية، أو عدم التمكن فيها حق التمكن.

٣- الجهل بمقاصد نزول القرآن ومقاصد الشريعة.

٤- الخوض فيما استأثر الله-تعالى- بعلمه.

٥- الجهل بقواعد الترجيح.

٦- عدم شمولية ذهن المفسر لآيات القرآن الكريم المتعلقة بموضوع واحد والتي قد يفسر بعضها بعضًا(فما أُجمل في موضع بُيِّن في موضع آخر).

٧- الخطأ في الاستدلال (بأن يستدل المفسر على تفسيره لآية بآية أخرى جاءت في سياق مختلف).

٨- عدم امتلاك أدوات المفسر التي اشترطها العلماء عند التفسير.

---

(١) **ينظر**: مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني (٢/ ٥٠) .

(٢) **ينظر**: المرجع السابق (٢/ ٥١) .

المبحث الثاني: أسباب الخطأ في التفسير بالرأي من خلال كتاب الدكتور مصطفى محمود [محاولة لفهم عصري للقرآن] دراسة نقدية، ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: نبذة عن المؤلف، وكتابه.

أولًا: نبذة عن المؤلف: (د/ مصطفى محمود):

كان الدكتور مصطفى محمود فيلسوفًا وطبيبًا وكاتبًا مصريًا، وُلد عام ١٩٢١ في قرية ميت خاقان التابعة لمركز شبين الكوم بمحافظة المنوفية.

تخرج من كلية الطب عام ١٩٥٣م، وتخصص في الأمراض الصدرية، ولكنه تفرغ للكتابة والبحث منذ عام ١٩٦٠م.

وقام بتأليف العديد من الكتب وصلت إلى: تسعة وثمانين كتابًا متنوعًا في العلم، والدين، والفلسفة، والمجتمع، والسياسة، وتميز أسلوبه بالجمع بين الجاذبية والعمق والبساطة.

وقدم برنامجه التلفزيوني الشهير: (العلم والإيمان) الذي اشتمل على نحو أربعمائة حلقة.

وجدير بالذكر أن الدكتور مصطفى محمود قد مرّ بفترة من الشك والتساؤل حول قضية وجود الله-تعالى-، كان قد قرأ خلالها العديد من الكتب حول الأديان والفلسفات كالبوذية والهندوسية، إلا أنه لم يُنكر وجود الله-ﷻ-، بل كان يبحث عن تصوره الصحيح، وقد استمرت تلك الفترة نحو ثلاثين عامًا، ليكتب بعدها أعمالًا عميقة مثل:

(حوار مع صديقي الملحد١٩٨٦م)، و(رحلتي من الشك إلى الإيمان عام ١٩٧٠م)، وتطرق في ثناياها إلى أسئلة الحياة والموت.

كما قام ببناء مسجده المعروف باسم: (مسجد مصطفى محمود)، وأنشأ معه ثلاثة مراكز طبية، ومكتبة، ومتحفًا.

وبعد هذه الرحلة الحافلة بالعلم والتأمل والبحث وصل الدكتور مصطفى محمود-رحمه الله تعالى- إلى مرحلة الإيمان واليقين بالله-ﷻ-.

وتوفى -رحمه الله تعالى-عام ٢٠٠٩م عن عمر يناهز ٨٧ عامًا[١].

ثانيًا: نبذة حول الكتاب: المسمى بـ: [القرآن محاولة لفهم عصري] الذي صدر في حدود عام١٩٧٠م:

جاء هذا الكتاب كمحاولة شخصية من الدكتور مصطفى محمود لقراءة القرآن قراءة جديدة تتناسب مع العقل المعاصر.

إن هذا الكتاب لا يعتبر تفسيرًا بالشكل التقليدي المتبع للمناهج الأصيلة المعروفة في تفسير القرآن الكريم، بل هو عبارة عن تأملات فكرية فلسفية.

كما أن فيه محاولة الربط بين بعض الآيات ونظريات العلم الحديث؛ لإظهار مدى الانسجام والتآزر بينهما.

وقد برز في هذا الكتاب استخدام الأسلوب الأدبي السلس الذي يصل أحيانًا إلى التبسط الذي يتنافى مع جلال النص القرآني ووقاره.

ويلاحظ أن الهدف الأساسي من الكتاب هو: إظهار القرآن بأنه كتاب حي يتجدد مع كل عصر لا يقتصر على زمن النزول، صالحًا لمعالجة الأسئلة الوجودية لدى الإنسان.

محتوى الكتاب:

قسم الدكتور مصطفى محمود الكتاب إلى عدة موضوعات كما يلي:

١- المعمار القرآني

---

(١) **ينظر**: الموقع الإلكتروني ويكيبيديا

https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%85%D8%B5%D8%B7%D9%81%D9%89_%D9%85%D8%AD%D9%85%D9%88%D8%AF.

٢- مخير أم مسير
٣- قصة الخلق
٤- الجنة والجحيم
٥- الحلال والحرام
٦- أسماء الله
٧- رب واحد ودين واحد
٨- الغيب
٩- الساعة
١٠-البعث
١١-لا كهنوت
١٢-لا إله إلا الله
١٣-لماذا إعجاز القرآن؟

طريقة التناول في الكتاب:

قام الدكتور مصطفى محمود-رحمه الله تعالى- في كل موضوع مما سبق بإيراد بعض الآيات التي تتعلق به، وتتناسب مع سياق شرحه، ثم يبدأ بتفسيرها بأسلوب أدبي قد يجذب بعض القراء غير المتخصصين، وأحيانًا يأتي بمعاني صحيحة عند التفسير، وأحيانًا أخرى يجانبه الصواب، فيخطئ ويأتي بمعان بعيدة قد لا تتناسب مع سياق الآية، وأحيانًا يؤول به الأمر إلى الإتيان بتفسيرات تنحرف بالكلية عن المعنى الصحيح للنص القرآني إلى معانٍ فاسدة وباطلة.

تمهيد منهجي

لا يخفى أن الدكتور مصطفى محمود-رحمه الله تعالى- له أعمال عظيمة تركت بصمة واضحة في أجيال متتابعة من الأمة الإسلامية، ومن أشهر تلك الأعمال برنامجه الشهير المعروف بـ(العلم والإيمان)، فقد كان

له أبلغ الأثر في تقريب معاني الإيمان إلى عامة الناس، وإبراز دلائل قدرة الله–تعالى– في الكون، بأسلوب مشوق جذب عموم الجماهير للالتفاف حول شاشة التلفاز؛ لمشاهدة تلك الحلقات العلمية الإيمانية المؤثرة، ولا شك أن ذلك يعكس رغبته المخلصة، وغايته النبيلة في الدعوة إلى الله–تعالى–، وترسيخ الإيمان بالإله الخالق لهذا الكون، وبيان عظمته وقدرته التي لا يجاريها شيء في الوجود.

كما أن القارئ لكتاب الدكتور مصطفى محمود:[محاولة لفهم عصري للقرآن] يلحظ في كثير من المواضع سلامة نيته، وحسن غايته، كما أن الكتاب قد صدر في حدود عام ١٩٧٠م يعني بعد انتهاء مرحلة الشك التي عاشها الدكتور في حياته، وانتهائه منها إلى مرحلة الإيمان واليقين.

ولأن البحث العلمي يقتضي الإنصاف؛ أردت التنبيه إلى أن هذه الدراسة لم تهدف إلى الانتقاص من شخص الدكتور مصطفى محمود، ولا من جهوده، ولا تصيُّدا لعثراته.

وإنما جاء هذا البحث لبيان بعض الأخطاء التي قد يقع فيها من يُقدِم على التفسير بالرأي، والاجتهاد في فهم النص القرآني دون التمكن من الضوابط التفسيرية، والإلمام بالأدوات التي تعين على تفسير النصوص القرآنية بصورة تضمن لها السلامة من الخطأ والزلل والانحراف.

كما أردت التنويه إلى أن سلامة النية وحدها لا تكفي في ميدان التفسير؛ إذ لابد أن تُدعم بالضوابط والشروط والعلوم التي قررها العلماء.

فإنه إذا اختلت تلك الشروط والضوابط، أو فقَدَ المفسر أحد تلك العلوم، أو اكتفى حتى بقدر يسير منها، فإنه لاشك سيخطئ في فهم النص القرآني مما يفضي به إلى انحراف التفسير عن المعنى السليم.

*****

المطلب الثاني: أسباب الخطأ في التفسير بالرأي من خلال كتاب الدكتور مصطفى محمود [محاولة لفهم عصري للقرآن] دراسة نقدية، مع التمثيل.

في هذا المبحث سأعرض بعض الأخطاء التي يقع فيها المفسر، مع ذكر أمثلة لها من خلال كتاب الدكتور مصطفى محمود المسمى بـ:[محاولة لفهم عصري للقرآن] مع الدراسة والنقد.

أولًا: حمل ألفاظ القرآن على معان معاصرة دون النظر إلى أصل استعمالاتها في لغة العرب:

إن من أشهر الأخطاء التي يقع فيها مفسر أن يُفسر ألفاظ القرآن بما يتوافق مع استعمالها في عصره هو، وإغفال معناها في لغة العرب وقت نزول القرآن الكريم.

ومثال ذلك من كتاب:[محاولة لفهم عصري للقرآن] للدكتور مصطفى محمود:

حينما فسر لفظ:(ساعة) في قوله-تعالى-: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ﴾ [الروم:٥٥] بأنها ساعة زمان، حيث قال:

" إن الدهور التي لبثها الموتى في قبورهم يخيل لهم لحظة البعث أنها كانت مجرد ساعة زمان، وكأنهم كانوا في غفوة، أو نومة عصاري بعد أكلة ثقيلة" (١).

الدراسة والنقد:

يظهر جليًّا أن الدكتور مصطفى محمود-رحمه الله تعالى- قد فسر لفظ ساعة في قوله-تعالى-: ﴿مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ﴾ بأنه مدة الساعة المعروفة في عصرنا الحالي ستون دقيقة حين قال" إنها كانت مجرد ساعة

(١) **ينظر**: محاولة لفهم عصري للقرآن (ص: ١٦٥) .

زمان" وهو المعنى المعهود والدراج لدينا في هذا العصر.

لكن التفسير الدقيق لها أنها تعني: المدة القليلة من الزمن، وهذا هو المعروف في استعمال العرب قديمًا[١].

يقول الألوسي: " والمراد به: ما أقاموا بعد الموت غَيْرَ ساعَةٍ، أي: قطعة من الزمان قليلة" [٢] .

وخلاصة القول: أن الأصل في التفسير حمل ألفاظ القرآن على معانيها وقت النزول حتى نتجنب انحراف التفسير عن المعاني المرادة[٣].

****

(١) **ينظر**: المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني (ص: ٤٣٤)، لسان العرب لابن منظور–مادة:(سَوَعَ) (٨/ ١٦٩)، عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي(٢/ ٢٣٤)،.

(٢) روح المعاني (١١/ ٥٨)

(٣) **ينظر**: مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني (٢/ ٦٠) .

ثانيًا: العدول عن ظاهر اللفظ[١] في النص القرآني إلى التأويل[٢] بدون قرينة تستلزم ذلك:

إن القرآن الكريم نزل بلسان عربي مبين، وكثير من ألفاظه لا تحتاج إلى تفسير وتبيين.

ولذا؛ فإنه لا يجوز العدول عن ظاهر اللفظ القرآني إلا بدليل يجب

---

(١) **الظاهر: لغة:** من الفعل ظهر، والظَّهْر مِنْ كُلِّ شَيْءٍ: خِلافُ البَطْن. **ينظر:** لسان العرب-مادة:(ظهر) (٤/ ٥٢٠).

ظاهر اللفظ اصطلاحًا: هو ما احتمل معنيين، ولكن أحدهما يسبق إلى الفهم عند الإطلاق. نحو قوله- تعالى-:﴿فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [البقرة:١٧٣] ، فإن لفظ (الباغي) يطلق على الجاهل، كما يطلق على الظالم، لكن إطلاقه على الظالم أغلب وأظهر من إطلاقه على الجاهل فهذا إطلاق راجح، أما إطلاقه على الجاهل فمرجوح. **ينظر:** نفحات من علوم القرآن لمحمد معبد (ص: ٨٨).

(٢) **التأويل: لغة:** من الأَوْل، أي: الرجوع إلى الأصل، ومنه: المَوْئِلُ للموضع الذي يرجع إليه. **ينظر:** المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني (ص: ٩٩).

والتأويل اصطلاحًا: حمل الظاهر على المحتمل المرجوح، فإن حُمِل عليه لدليل فصحيح، أو لما يُظَن دليلاً فى الواقع ففاسد، أو لا شيء فلعب لا تأويل، إذن **اللفظ المؤول:** هو ما حمل على المرجوح لدليل يمنع من إرادة المعنى الراجح؛ فهو عكس الظاهر تمامًا. مثل قوله -تعالى-: ﴿يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ﴾ [**الأنعام:٩٥**]، [**يونس:٣١**]، [**الروم:١٩**] إن أراد به إخراج الطير من البيضة كان تفسيرًا، وإن أراد به إخراج المؤمن من الكافر، أو العالم من الجاهل؛ كان تأويلًا. **ينظر:** التعريفات للجرجاني (ص: ٥٠)، حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع (٢/ ٨٨). نفحات من علوم القرآن لمحمد معبد (ص: ٨٨)

الرجوع إليه[١]، أو وجود قرينة تدعو إلى الانصراف عن الظاهر إلى التأويل.

فإن مخالفة هذه الأمر يؤدي إلى الخطأ في فهم وتفسير القرآن الكريم.

ومثال ذلك: ما ذكره الدكتور مصطفى محمود في كتابه:[محاولة لفهم عصري للقرآن]:

فعند تفسيره لقوله –تعالى–: ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَۖ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ١٢﴾ [طه:١٢]، قال: " إن المقصود بالنعلين هما: النفس والجسد – هوى النفس وملذات الجسد–، فلا لقاء بالله إلا بعد أن يخلع الإنسان النعلين: نفسه وجسده بالموت أو الزهد، والله يصورهما كنعلين؛ لأنهما القدمان اللتان تخوض بهما الروح في عالم المادة، وعن طريقهما نزلت من سماواتها إلى الأرض" [٢].

الدراسة والنقد:

يتضح لنا أن الدكتور مصطفى محمود – غفر الله تعالى لنا وله–عند تفسيره للفظ (النعلين) قد عدل عن المعنى الظاهر المتبادر من اللفظ إلى معنى مؤول، على الرغم من أن المعنى الظاهر يستقيم معه الكلام لغة وسياقًا، لا سيما مع عدم وجود قرينة تدعو إلى الانصراف عنه؛ مما يجعل التأويل الذي ذهب إليه الدكتور مصطفى محمود فيه تكلف؛ لأنه يُحمِّل النصوص ما لا تحتمله.

(١) **ينظر**: قواعد الترجيح لحسين الحربي (١/ ١٣٧).

(٢) **ينظر**: محاولة لفهم عصري للقرآن (ص: ١٠٤).

التفسير الصحيح للآية:

ذهب عامة أهل التفسير إلى: تفسير النعلين بالمدلول الظاهر والمعروف من اللفظ.

يقول الواحدي: " الخلع: النزع، والنعل: ما جعلته وقاية لقدميك من الأرض، يقال: نَعِلَ، يَنْعَلُ، فهو نَاعِل، وانْتَعَل بكذا" [(١)].

وذهب ابن عطية وغيره: إلى أن السبب في الأمر بخلع النعلين هو: التواضع لعِظَم الحال، وتعظيم

المكان الذي سيستمع فيه الكلام الإلهي[(٢)].

وبناء على ما سبق نخلص إلى: أن العدول عن ظاهر النص القرآني إلى التأويل بدون قرينة تستدعي ذلك يفتح الباب للتفسيرات الباطنية[(٣)] غير المنضبطة مما يصرف القرآن عن مقاصده ومعانيه الواضحة المرادة من قِبَل الشارع الحكيم.

قال الطبري: " وغير جائز ترك الظاهر المفهوم من الكلام إلى باطن لا دلالة على صحته "[(٤)].

****

(١) التفسير البسيط (١٤/ ٣٦٧)، **وينظر كذلك:**الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١١/ ١٧٣)، روح المعاني للألوسي (٨/ ٤٨٤)، التحرير والتنوير لابن عاشور (١٦/ ١٩٧).

(٢) **ينظر**: المحرر الوجيز لابن عطية (٤/ ٣٩)، البحر المحيط لأبي حيان (٧/ ٣١٦)، التحرير والتنوير لابن عاشور (١٦/ ١٩٧).

(٣) **ينظر**: مفاتيح الغيب للرازي (٢٢/ ٩-١٠).

(٤) جامع البيان (١/ ١٥).

ثالثًا: العدول عن المعنى الحقيقي إلى المعنى المجازي أو العكس دون قرينة:

من الأمور التي توقع المفسر في الخطأ في فهم وتفسير آيات القرآن الكريم: الانصراف عن المعنى الحقيقي للألفاظ إلى معنى مجازي أو العكس بدون قرينة مستمدة من سياق الكلام توجب ذلك.

والحقيقة: من حَق الشَّيءُ: إذا ثَبَتَ(١)، وهو كل لفظ بقي على المعنى الموضوع له، سواء كان هذا الوضع لغويًّا أو شرعيًّا أو عرفيًّا(٢).

والمجاز: من الجواز أي: التعدي، وهو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له لعلاقة مع قرينة(٣).

وقد وقع الدكتور مصطفى محمود في مثل ذلك في كتابه: [محاولة لفهم عصري للقرآن]:

أولًا: مثال العدول عن المعنى الحقيقي إلى المجازي :

يقول- رحمه الله تعالى وغفر له- :" إن ما جاء عن الجنة والجحيم ما هو إلا ألوان من ضرب المثال، وألوان من التقريب، وألوان من الرمز "(٤).

ثم يذكر أن ما جاء من أوصاف للجنة في قوله-تعالى-: ﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ﴾ [محمد:١٥] " ليست إيرادًا لأوصاف حرفية، **فهذا أمر مستحيل**؛ لأن الجنة والنار أمور غيبية لا يمكن تصويرها في كلمات

(١) **ينظر**: تاج العروس للفيروزآبادي- مادة:(حقق) (٢٥/ ١٧١).
(٢) **ينظر**: إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول للشوكاني (١/ ٦٢).
(٣) **ينظر**: المصدر السابق (١/ ٦٣).
(٤) **ينظر**: محاولة لفهم عصري للقرآن (ص: ٦٦) .

من قاموسنا... فكل الغاية هي تقريب تلك المعاني المستحيلة بقدر الإمكان"[1].

الدراسة والنقد:

نفى د/مصطفى محمود-غفر الله تعالى له- أن يكون ما ذكره الله- تعالى- من أوصاف للجنة في القرآن الكريم وصفًا حقيقيًّا لها، بل جعله أمرًا مستحيلًا.

وأرى أن القول بأن أوصاف الجنة الواردة في القرآن والسنة ما هي إلا مجازات، ومحال أن يُراد بها الحقيقة، فيه نظر.

فقد وصف الله -تعالى- الجنة وما فيها بأوصاف حسية دقيقة، فقال: ﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ ﴾ [محمد:١٥].

وقد ذكر ابن عاشور أن هذه الأوصاف " يجوز أن تكون على سبيل الحقيقة والمماثلة التامة؛ فإن أحوال الآخرة خارقة للعادة المعروفة في الدنيا، فإن مرأى أنهار من هذه الأصناف مرأى مبهج، وفيه تنعم"[2].

كما أن نصوص القرآن والسنة جاءت بأوصاف حسية ظاهرة للحور العين، وثياب أهل الجنة، وفرش أسرَّتهم، وغير ذلك، ولو كان كل ذلك مجازًا لما احتيج إلى ذلك التفصيل.

وقد أخبر الله -ﷻ- أيضًا عن الجنة فقال: ﴿فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [فصلت:٣١]، وتدعون: أي ما تتمنون

---

(١) **ينظر**: محاولة لفهم عصري للقرآن (ص: ٦٥-٦٦) .

(٢) **ينظر**: التحرير والتنوير (٢٦/ ٩٦) بتصرف، **وينظر**: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي (١٧/ ٢٥٨)، تيسير الكريم الرحمن للسعدي (ص: ٤١٩)

وتطلبون[١]، وعليه؛ فإن كل ما يشتهيه أهل الجنة يُوجده الله –تعالى– لهم، سواء أكان ذلك أنهارًا من عسل مصفى، أو أنهارًا من لبن، أو غير ذلك، فكل ما يتمناه المؤمن من نعيم الدنيا المباح يجده في الجنة مضاعفًا، وعلى وجه أكمل، وأحسن.

أما ما جاء عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ –رضي الله عنه– قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ –ﷺ–: قَالَ اللَّهُ–تعالى– :«أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لاَ عَيْنٌ رَأَتْ، وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، فَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [السجدة:١٧]»[٢]

فهذا الحديث الشريف يدل على أن في الجنة من النعيم ما يتجاوز إدراك الإنسان وما عاينه في الدنيا، لكنه لا ينفي أن في الجنة أمورًا من نعيم الدنيا غير أن الفرق أن ما في الجنة أكمل وأحسن .

والله –سبحانه وتعالى– أكرم الأكرمين فقد خلق الجنة لنعيم عباده المؤمنين، فكيف يُستبعد أن يكون فيها ما ألفوه من طيبات وملذات الدنيا وزيادة، وبما لا يخطر عل بال أيضًا، فهذا أكمل وأبلغ في نعيمهم وإكرامهم.

فينبغي الإيمان بأن أوصاف الجنة على حقيقتها مع التسليم بأنها نعيم كامل يليق بالآخرة.

ومعلوم أن الأصل في الكلام: " أن يُحمل على الحقيقة، ولا يجوز

---

(١) **ينظر**: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٨/ ٣١٣)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي (٥/ ٧١).

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كِتَابُ: بَدْءِ الخَلْقِ ، بَابُ: مَا جَاءَ فِي صِفَةِ الجَنَّةِ وَأَنَّهَا مَخْلُوقَةٌ (٤/ ١١٨) حديث: (٣٢٤٤)، ومسلم في صحيحه، كتاب الْجَنَّةِ وَصِفَةِ نَعِيمِهَا وَأَهْلِهَا (٤/ ٢١٧٤) حديث:(٢٨٢٤).

العدول به عنها، وله فيها محمل صحيح"[1].

ثانيًا: مثال العدول عن المجاز إلى الحقيقة:

نجد الدكتور مصطفى محمود –رحمه الله تعالى وغفر له– عند تفسيره لقوله–تعالى–: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الزمر:٣٠] يذكر أن معناه:

" أفق إلى نفسك فأنت غير موجود، أنت ظل، وشأنك شأن الظل موجود على الأرض ما دامت الشمس في كبد السماء، فإذا غربت لم يعد لك وجود، واختفت معك كل الظلال التي كانت تتطاول بأعناقها إلى جوارك..." [2].

الدراسة والنقد:

من خلال النص السابق يتضح أن: الدكتور مصطفى محمود –رحمه الله تعالى– قد فهم من الآية أن المراد منها هو المعنى الحقيقي، وأن وجود النبي–ﷺ– ليس وجودًا حقيقيًّا، بل ما هو إلا صورة أو ظل على حد تعبيره.

لذلك فسر الخطاب الموجه للنبي –ﷺ– بأنه تنبيه له أنه غير موجود في الحقيقة، فقال:" أفق إلى نفسك فأنت غير موجود، وإنما أنت ظل".

وأرى أن هذا تفسير لا يصح ولا يستقيم، وبه تعبيرات تنأى النفس عن توجيها للنبي–ﷺ– وتوصيف حاله ومقامه الكريم بها.

التفسير الصحيح للآية:

إن الذي يُفهم مما ذهب إليه أهل التفسير من المتقدمين والمحدَثِين: أن الآية على سبيل المجاز باعتبار ما سيؤول إليه حال النبي–

(١) **ينظر**: قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (٣٨٧/٢).

(٢) **ينظر**: محاولة لفهم عصري للقرآن (ص: ١٨٤) .

ﷺ- وحال غيره من الكفار الذين كانوا يتربصون به مما سيؤول إليه أمرهم جميعًا إلى الموت، فقوله: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ ﴾ أي: ستموت على الاستقبال[١]، وليس وصفًا للحال على الحقيقة .

نستخلص مما سبق: أن العدول عن المعنى الحقيقي إلى المجازي أو العكس بدون قرينة عند تفسير نصوص القرآن الكريم يؤدي إلى انحراف المعاني، وهو ما ينبغي أن يتنبه له المفسر جيدًا عند شروعه في تفسير كلام الله -تعالى-.

رابعًا: الاستدلال والاستشهاد بالآيات القرآنية دون مراعاة سياقها القرآني:

إن من ضوابط التفسير الصحيح لآيات القرآن الكريم هو الالتزام بالتفسير من خلال سياق الآية سواء ما قبلها أو ما بعدها؛ إذ الإخلال بهذا الضابط يؤدي قطعًا إلى خلل وانحراف كبير في تفسير المعنى المراد من النصوص القرآنية.

وسأعرض لذلك مثالين من كتاب :[محاولة لفهم عصري للقرآن] للدكتور مصطفى محمود، ففي المثال الأول، يتناول الدكتور-رحمه الله تعالى- قضية معينة، ثم يستشهد على ما ذكره بآية قرآنية، غير أن سياق الآية ومقتضى معناها لا ينسجمان مع ما أراد الاستدلال عليه، مما يجعل الاستشهاد موضع نظر.

أما المثال الثاني، فإنه يشرع في تفسير آية تفسيرًا مقبولًا في ذاته من حيث المعنى، لكنه يعزز هذا التفسير بآية أخرى جاءت في سياق لا يتفق مع ما أراد تأييده، فلو اقتصر على التفسير الأول دون أن يقرنه

---

(١) **ينظر**: مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي (٣/ ١٧٩)، فتح القدير للشوكاني (٤/ ٥٣٠)، التحرير والتنوير لابن عاشور (٢٣/ ٤٠٤)، الأساس في التفسير لسعيد حوى (٩/ ٤٨٧٤)، تفسير الشعراوي (٢/ ٧١٤).

بتلك الآية الأخرى، لكان أقرب إلى الصواب وأولى بالقبول؛ إذ إن مراعاة السياق القرآني أمر لا يُغفَل عند الاستدلال والاستنباط.

المثال الأول:

يقول-رحمه الله تعالى-: " القرآن له أسلوبه المختلف عن كل الأساليب، وهو حينما يشير إلى مسألة علمية لا يعرضها كما يعرضها أينشتين بالمعادلات ...وإنما يقدمها بالإشارة والرمز والمجاز والاستعارة واللمحة الخاطفة ... إنه يلقي بكلمة قد يفوت فهمها وتفسيرها على معاصريها، ولكنه يعلم أن التاريخ والمسقبل سوف يشرح هذه الكلمة ويثبتها تفصيلًا.

ثم يستشهد على ذلك قائلًا:

" والله-تعالى- يقول عن كلامه: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران:٧] " [(١)].

الدراسة والنقد:

نلاحظ أنه-رحمه الله تعالى- اقتطع الآية السابقة عن سياقها، وذلك من جهين:

الأول: إما أنه أراد أنها عامة في كل كلام الله-ﷻ-:

وهو بهذا وقع في خطأ صريح ؛ لأنه لا خلاف بين أهل العلم في أن هذه الآية وردت خصيصًا في كلام الله المتشابه في القرآن الذي استأثر الله -تعالى-.

والثاني: أنه قصد أن الإشارات العلمية ضمن ما استأثر الله -تعالى- بعلمه.

(١) محاولة لفهم عصري للقرآن (ص: ٤٨-٤٩) .

وهذا أيضًا خطأ بيِّن؛ لأن الإشارات العلمية ليست من كلام الله- تعالى- المتشابه الذي استأثر الله-تعالى- بعلمه، بل إن هناك علماء متخصصون في علم الفلك، والجلوجيا، وعلم الأجنة، وغير ذلك من العلوم التي يؤسس المتخصصوون فيها النظريات والمعادلات العلمية.

فالقرآن محكم ومتشابه، وما أكثر المحكم في القرآن الذي يعلمه الكثير من الناس!.

قال-تعالى-:﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٌ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٧﴾ ﴾

وبناءً على ذلك؛ فإن ما ذكره من استدلال واستشهاد ليس في محله، وهذا خطأ من يُفسر الآية بمعزل عن السياق التي وردت فيه.

المثال الثاني:

عند تفسير قوله-تعالى- ﴿ فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ ﴾ [البلد:١٣]

قال-رحمه الله تعالى-: " ولا عقبة أمامك سوى نفسك، وعليك أن تقتحمها؛ لتستطيع أن تفعل أي خير فتفك رقبة من تُستغَل وتُستعبَد، ولن تستطيع أن تفك رقبة من تستعبد إلا إذا فطنت إلى استعباد نفسك لك، وفككت عنك أغلالها، فلن تستطيع أن تحرر إنسانًا إلا إذا بدأت فحررت نفسك أولًا... ولهذا تقرأ في القرآن:﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ

وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ﴾ [التوبة:١١١] " [1].

الدراسة والنقد:

يظهر من النص السابق أن الدكتور مصطفى محمود- رحمه الله تعالى- فسر العقبة بأنها النفس، واقتاحمها: بمجاهدة النفس، وهو تفسير جائز مقبول[2]، لكنه استدل على كلامه عن ضرورة تحرير نفس الإنسان من شهواتها وأهوائها بقوله-تعالى-: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ﴾ [التوبة:١١١].

وهو استدلال غير صحيح يفتقر إلى الدقة في فهم مدلول الآية الكريمة من خلال السياق التي وردت فيه.

فلو أكملَ قراءة الآية الكريمة لوجد الجملة التي بعدها مباشرة تبين أن المراد هو الحديث عن الجهاد في سبيل الله-ﷻ-، وليس جهاد النفس كما أشار الدكتور-رحمه الله تعالى-.

قال-عز من قائل-: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ

---

(١) محاولة لفهم عصري للقرآن (ص: ٨٩-٩٠) .

(٢) وهو قول نَسَبته بعض كتب التفسير إلى الحسن، لكني لم أقف عليه في الكتب التفسير المسندة، ولا كتب الحديث.

وممن نسبه للحسن في كتب التفسير الغير مسندة: الماوردي في النكت والعيون (٦/ ٢٧٨)، والسمعاني في تفسيره (٦/ ٢٢٩)، والنسفي في مدارك التنزيل وحقائق التأويل (٣/ ٦٤٥).

وقد رجح الرازي هذا المعنى في مفاتيح الغيب (٣١/ ١٦٨).

وهناك أقوال أخرى: قيل العقبة: هي جهنم، وقيل: جبل في جهنم، وقيل : هي الصراط يُضرب على جهنم. **ينظر**: جامع البيان للطبري (٢٤/ ٤٤٠)، النكت والعيون للماوردي (٦/ ٢٧٨).

وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ [التوبة:١١١]

وهذا ما ذهب إليه أهل التفسير عند تفسيرهم لتلك الآية الكريمة:

قال السمعاني:" معنى الآية: أن الله-تعالى- أمر المسلمين بأن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله، وجعل لهم الجنة ثوابًا عليه، فجعل هذا بمنزلة الشراء والبيع " [١].

فهذا هو التفسير الصحيح الذي يتسق مع السياق القرآني للآية الكريمة.

من هنا نخلص إلى: أن دلالة السياق من الأمور التي يندفع به الإشكال في التفسير [٢].

وكل تفسير ليس مأخوذًا من دلالة ألفاظ الآية وسياقها فهو رد على قائله[٣] .

ومعلوم أن: "إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عنهما إلا بدليل يجب التسليم له" [٤] .

لذا؛ يجب على المفسر عند تفسيره لمعاني النصوص القرآنية مراعاة السياق الذي وردت فيه حتى يتجنب الوقوع في الخطأ في التفسير.

---

(١) تفسير السمعاني (٢/ ٣٥٠)، **وينظر المعنى نفسه في** : البحر المحيط لأبي حيان (٥/ ٥٠٨)، تفسير الجلالين (ص: ٢٦١)، فتح القدير للشوكاني (٢/ ٤٦٣)، وغيرها.

(٢) **ينظر**: مختصر في قواعد التفسير لخالد السبت (ص: ٢٨).

(٣) **ينظر**: قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي(٢/٣٤٩).

(٤) **ينظر**: المرجع السابق (١/١٢٥).

خامسًا: الخوض في آيات الأحكام دون علم بالفقه[١] وأصوله[٢] ومقاصد الشريعة[٣]:

وهذا أمر جد خطير؛ حيث إن فيه تهاونًا بالأحكام الشرعية، لا سيما مسائل الحل والحرمة، والخوض في مثل ذلك دون دراية بعلم الفقه وقواعده وأصوله لاشك أنه يشوش على الناس أمور دينهم ودنياهم، فيلتبس الحلال بالحرام والعكس، مما يوقع الناس في فتن تفسد عليهم الدين والدنيا.

كما أن عدم العلم بمقاصد الشريعة يؤدي إلى استنباطات واستنتاجات

---

(١) **الفقه:** لُغَة: فهم الشيء، وَكُلُّ عِلْمٍ لِشَيْءٍ فَهُوَ فِقْهٌ، وشرعًا: ا لعلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسب من أدلتها التفصيلية. **ينظر:** المصباح المنير للفيومي–مادة: (فقه) (٢/ ٤٧٩)، الإبهاج في شرح المنهاج لتقي الدين السبكي (١/ ٢٨).

(٢) **أصول الفقه:** مركب إضافي، وأصول: في اللغة: جمع أصل، وأصل الشيء: مَا مِنْهُ الشيء، أَو مَا اسْتندَ الشيء فى وجوده اليه، أَو مَا ينبنى عَلَيْهِ غَيره.
ينظر: المصباح المنير للفيومي–مادة:(أصل) (١/ ١٦).
وشرعًا: هو الْعلم بالقواعد الَّتِى يتَوَصَّل بهَا الى استنباط الْأَحْكَام الشَّرْعِيَّة الفرعية عَن أدلتها التفصيلية. ينظر: المختصر في أصول الفقه لابن اللحام (ص: ٣٠).

(٣) **مقاصد الشريعة:** معرفة الحِكَم والغايات والأسرار التشريعية الثابتة العامة؛ لتحقيق مصالح العباد في الدارين التي وُضعت الشريعة من أجلها، وهذه المصالح والمنافع رُكب في النفس البشرية السعيُ إليها والانجذاب نحوها.
وتنقسم إلى ثلاثة أقسام: ضروريات، وحاجيات، وتحسينات. فالضروريات: لا بد منها في قيام مصالح الدين والدنيا، بحيث إذا فقدت لم تجر مصالح الدنيا على استقامة، بل على فساد في الدنيا، وخسران في الآخرة، أما الحاجيات: هي أمور إذا لم تراع لحق الناس الحرج والمشقة، ولكنه لا يبلغ مبلغ الفساد، وأما التحسينات، فمعناها الأخذ بما يليق من محاسن العادات، وتجنب المدنسات التي تأنفها العقول الراجحات. **ينظر**: الموافقات للشاطبي (ص: ١)، (٢/ ١٧)، مقاصد الشريعة الإسلامية لابن عاشور (١/ ٤١١) ، (٢/ ١٣٧–١٤٢).

لا تتوافق مع روح التشريع الإسلامي.

وسأذكر مثالًا على ذلك من كتاب :[محاولة لفهم عصري للقرآن] للدكتور مصطفى محمود:

حيث تعرض الدكتور –غفر الله تعالى لنا وله– للحديث عن مسألة غض البصر، فتكلم فيها كلامًا خطيرًا جدًا.

فبعد أن ذكر الآيتين اللتين وردتا في هذه القضية من سورة النور:

حيث قال–تعالى–: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ﴾ [النور:٣٠]

وقال–تعالى–: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ﴾ [النور:٣١]

يعلق الدكتور مصطفى محمود قائلًا:

" لو أخذنا القضية بظاهر حروفها دون أن يكون جوهر القضية واضحًا في الذهن، فسوف نجد أن الحياة الطبيعية في زمننا(زمن المِنِي جيب، والديكولتيه، ... والشعر المرسل) أمر صعب، والسير في شارع مثل عماد الدين أو فؤاد أو سليمان باشا سيرًا مطابقًا لحروف الآية هو الأمر العسير.

وهناك أكثر من نوع من النظر فما هو نوع غض البصر المقصود؟"

ثم يتحدث الدكتور–غفر الله تعالى له– أنه لا بد من العودة إلى جوهر التحريم؛ لِيُفْهَم ما نوع النظر المحرم في الآية؟، فيقول–غفر الله تعالى له وتجاوز عنه–:

" مجرد إرسال النظر لا ضرر منه، ولكن الضرر فيما يجري في القلب والعقل نتيجة إمعان النظر الخبيث... وهاهنا يبدو معنى الآية: أن ينظر الإنسان بشهواته لا بعينيه... ونحن قد نرى وجهًا فنهتف بالقلب إعجابًا: (الله) ، ونقصد الخالق الذي صور وليس المخلوق، فلا تكون هذه

النظرة حلالًا فقط، وإنما تُكتَب لنا حسنة " [1].

الدراسة والنقد:

من خلال النص السابق يتضح لنا أن الدكتور مصطفى محمود- غفر الله تعالى لنا وله- قد وقع في عدة أخطاء جسيمة أثناء تفسير الآية الكريمة، ويمكن إجمالها فيما يلي:

١- أنه خصص المقصود من غض النظر بأنه النظر بشهوة فقط، وليس مطلق النظر.

وهذا تخصيص منه بلا مخصص؛ حيث لا دليل على التخصيص، بل إن اللفظ عام في غض البصر على الإطلاق بدون تخصيص شهوة أو غيرها.

ومنهج الأصوليين: لا يجوز تخصيص بلا مخصص، فإن العام إذا لم يرد ما يخصصه يجب حمله على عمومه[2].

٢- ذَكَرَ أن من الصعب تطبيق مِثل هذه الآية في عصره الذي امتلأت الشوارع فيه بالنساء المتبرجات المتكشفات، وبناء على ذلك أباح إطلاق النظر مادام بغير شهوة.

وهذا خطأ كبير وقع فيه الدكتور -غفر الله تعالى له- ؛ إذ إن من المعلوم عند أهل العلم أن شيوع المنكر لا يُسَوِّغ ترك ما أمر الله-تعالى- به، ولا يُسقط غض البصر.

وإن كان الإسلام قد عفا عن النظرة الأولى، وهي نظرة الفجأة ، لا يعني أن يتساهل المرء في ذلك، وقد ورد عن رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-أنه قال

(١) محاولة لفهم عصري للقرآن (٨٥: ٨٧) .

(٢) **ينظر**: أصول الفقه الذي لا يسع الفقيه جهله لعياض السلمي (ص: ٣٦٨).

لِعَلِيٍّ –رضي الله عنه–: «يَا عَلِيُّ، لَا تُتْبِعِ النَّظْرَةَ النَّظْرَةَ، فَإِنَّ لَكَ الْأُولَى، وَلَيْسَتْ لَكَ الْآخِرَةُ»(١).

والقاعدة الفقهية تقول: الرُّخَصُ لَا تُنَاطُ بِالْمَعَاصِي(٢).

٣- أفتى بحل النظر للهيئة الجميلة دون شهوة ما دام من ينظر يهتف باستحسان وإعجاب:(الله!)؛ إذ إنه يرى في ذلك جمال صنع الخالق سبحانه.

وهذا فيه اجتراء على الفتوى، فيحلل أمورًا من تلقاء نفسه بدون علم، والله–تعالى–يقول: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ﴾ [الإسراء:٣٦].

قال الزمخشري: "والمراد: النهى عن أن يقول الرجل ما لا يعلم، وأن يعمل بما لا يعلم" (٣).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – ﷺ–: « مَنْ أُفْتِيَ بِفُتْيَا غَيْرَ ثَبَتٍ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى مَنْ أَفْتَاهُ »(٤).

وقال ابن القيم: " وقد حرم الله–سبحانه– القول عليه بغير علم في الفُتيا والقضاء، وجعله من أعظم المحرمات، بل جعله في المرتبة العليا منها، فقال–تعالى–: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، كتاب النكاح، باب: وأما حديث عيسى (٢/ ٢١٢) حديث: (٢٧٨٨) عَنِ ابْنِ بُرَيْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ.
وقال الحاكم: " هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ "، ووافقه الذهبي.

(٢) **ينظر**: المنثور في القواعد الفقهية للزركشي (٢/ ١٦٧)

(٣) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٢/ ٦٦٦).

(٤) رواه ابن ماجه في سننه، أبواب السنة، بَابُ اجْتِنَابِ الرَّأْيِ وَالْقِيَاسِ(١/ ٣٧) حديث:(٥٣) ، والحديث حسن: قال المحقق شعيب الأرناؤوط:"إسناده حسن، مسلم بن يسار حسن الحديث، ومن دونه ثقات."

﴿وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأعراف:٣٣][(١)].

٤- تجاوز الدكتور -غفر الله تعالى له- قضية إباحة النظر بتلك الكيفية إلى أن جعلها عملًا صالحًا؛ يؤجر عليه الناظر، فيُكتَب له به حسنة.

وهذا تقول على الله-تعالى- بغير برهان.

التفسير الصحيح لآية غض البصر:

إنه من خلال تتبع أقوال علماء التفسير قديمًا وحديثًا في معنى هذه الآية لم أجد أحدًا منهم خصص غض البصر المأمور به في تلك الآية الكريمة بما كان بشهوة دون غيره، بل يُفهم من أقوال أهل التفسير في هذه الآية أنها في مطلق النظر حتى ولو كان بدون شهوة؛ لذلك ذكروا حديث النبي -ﷺ- الوارد في الأمر بصرف البصر عند نظر الفجأة، الذي لا شك أنه يكون بلا قصد ولا شهوة [(٢)].

فقد روى الإمام مسلم بسنده عن جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: «سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ -ﷺ-عَنْ نَظَرِ الْفُجَاءَةِ، فَأَمَرَنِي أَنْ أَصْرِفَ بَصَرِي»[(٣)].

وفي البخاري: قَالَ سَعِيدُ بْنُ أَبِي الحَسَنِ، لِلْحَسَنِ: إِنَّ نِسَاءَ العَجَمِ يَكْشِفْنَ صُدُورَهُنَّ وَرُءُوسَهُنَّ؟ قَالَ: «اصْرِفْ بَصَرَكَ عَنْهُنَّ»، قَوْلُ اللَّهِ-عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ﴾ [النور:٣٠]،

---

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين (١/ ٣١).

(٢) **ينظر:** المحرر الوجيز لابن عطية (٤/ ١٧٧)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٢/ ٢٢٣)، لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن (٣/ ٢٩٢)، فتح القدير للشوكاني (٤/ ٢٦)، روائع البيان تفسير آيات الأحكام (٢/ ١٤٧).

(٣) صحيح مسلم، كتاب: الآداب، باب: نظر الفجأة (٣/ ١٦٩٩) حديث: (٢١٥٩) .

وقال قتادة: عما لا يحل لهم[١].

وأرى أن هذا الأثر يؤيد ما ذكرته آنفًا من أن كثرة تَكَشُّف النساء في بعض الأماكن والبلدان لا يجيز التساهل في إطلاق البصر، بحجة أن غض البصر صعب عسير على الرجال في تلك الحال.

ومعلوم أن سد الذرائع، وهي قاعدة أصولية مهمة في الفقه الإسلامي، تحسم هذا الأمر، لذلك يقول ابن القيم :

" إن اللَّه-سبحانه- أمر بغضِّ البصر -وإن كان إنما يقع على محاسن الخِلْقة والتفكر في صنع اللَّه؛ سدًا لذريعة الإرادة والشهوة المُفْضِية إلى المحظور" [٢].

وفي كلام ابن القيم هذا رد على الخطأ الثالث الذي وقع فيه الدكتور مصطفى محمود-رحمه الله نعالى وغفر له- من جواز النظر بنية استحسان بديع صنع الله-تعالى-.

ومما هو معلوم: أن تكاليف الشريعة ترجع إلى حفظ مقاصدها في الخلق[٣]، ومن تلك المقاصد كالضروريات التي منها حفظ الدين، والنفس، والعرض، ولا شك أن غض البصر يحفظ على المرء دينه، ونفسه من الوقوع في المحرم، وهو بدوره يحفظ الأعراض من الانتهاك أو الخوض فيها.

وعليه؛ فإن تخصيص غض البصر في الآية لما كان بشهوة فقط،

---

(١) ذكره البخاري معلقًا (٨/ ٥١) حيث افتتح به كتاب: الاستئذان، باب: بدء السلام . ووصله ابن حجر في تغليق التعليق (٥/ ١٢٠) : وَأما قَول قَتَادَة فَقَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِم حَدثنَا مُحَمَّد بن يحيى ثَنَا الْعَبَّاسُ بْنُ الْوَلِيدِ ثَنَا يَزِيدَ بْنِ زُرَيْعٍ ثَنَا سَعِيدٌ عَن قَتَادَة قَوْله:« ﴿وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْۚ﴾ [النور:٣٠] عَمَّا لَا يحل لَهُم» .

(٢) إعلام الموقعين عن رب العالمين (٥/ ٩).

(٣) **ينظر**: الموافقات للشاطبي (٢/ ١٧).

وإجازة ما عداه بإباحة إطلاق البصر للنساء ما دام الناظر يرى فيهن جمال صنع الخالق، بل ويثاب عليه على حد تعبير الدكتور–غفر الله تعالى لنا وله– ينافي مقاصد الشريعة الإسلامية، كما أنه يُعَدُّ من تلبيس إبليس على بعض المسلمين.

إذ إن إطلاق البصر على هذه الحالة ما هو إلا خطوة من خطوات الشيطان التي نهانا الله–تعالى– أن نتبعها، والتي تؤدي في نهاية الأمر إلى الوقوع في المحظور المحرم، مما يُفسد على المرء دينه ودنياه؛ جراء ما حصل من فساد قلبه ابتداءً بسبب إطلاق بصره.

يقول القرطبي:

" البصر هو الباب الأكبر إلى القلب، وأعمر طرق الحواس إليه، وبحسب ذلك كثُر السقوط من جهته، ووجب التحذير منه، وغضه واجب عن جميع المحرمات، وكل ما يخشى الفتنة من أجله، وقد قال–ﷺ–: «إِيَّاكُمْ وَالجُلُوسَ عَلَى الطُّرُقَاتِ»، فَقَالُوا: مَا لَنَا بُدٌّ، إِنَّمَا هِيَ مَجَالِسُنَا نَتَحَدَّثُ فِيهَا، قَالَ: «فَإِذَا أَبَيْتُمْ إِلَّا المَجَالِسَ، فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهَا»، قَالُوا: وَمَا حَقُّ الطَّرِيقِ؟ قَالَ: «غَضُّ البَصَرِ، وَكَفُّ الأَذَى، وَرَدُّ السَّلاَمِ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ، وَنَهْيٌ عَنِ المُنْكَرِ»[1]" [2].

مما سبق نخلص إلى: أن الإلمام بعلم الفقه وقواعده وأصوله ومقاصد الشريعة الإسلامية أمر في غاية الأهمية لمن يتصدى لتفسير

(١) رواه البخاري في صحيحه، كِتَاب: المَظَالِمِ وَالغَصْبِ، بَابُ: أَفْنِيَةِ الدُّورِ وَالجُلُوسِ فِيهَا، وَالجُلُوسِ عَلَى الصُّعُدَاتِ (٣/ ١٣٢)، حديث:(٢٤٦٥)، ومسلم في صحيحه، كتاب: اللِّبَاسِ وَالزِّينَةِ، بَابُ: النَّهْيِ عَنِ الْجُلُوسِ فِي الطُّرُقَاتِ وَإِعْطَاءِ الطَّرِيقِ حَقَّهُ (٣/ ١٦٧٥) حديث:(٢١٢١) (كلاهما من حديث أبي سعيد الخدري –رضي الله عنه–).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٢/ ٢٢٣).

القرآن الكريم؛ إذ إن علمه بذلك يقيه من الزلل والخطأ في فهم نصوص القرآن الكريم واستنباط ما بها من أحكام.

فإن المفسر إن جهل تلك الأمور جرَّه ذلك إلى خطر عظيم في الدين، فيتأول نصوص الأحكام على غير مراد الله –تعالى–، وهو من أعظم المحرمات.

****

سادسًا: التعامل مع النص القرآني كأنه نص عادي، دون التنبه لقدسيته الواجب اعتبارها:

وسأتناول الحديث عن ذلك من وجهين.

الوجه الأول:

التداخل والخلط : وهي كتابة التفسير داخل سياق النص القرآني نفسه.

ومن أمثلة ذلك من كتاب :[محاولة لفهم عصري للقرآن] للدكتور مصطفى محمود: قوله –تعالى–:﴿ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ (أنصارًا) لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴿٢٧﴾ ﴾ [الأعراف:٢٧] (١) .

﴿ فَلَوْلَآ (فلو أنهم) إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ (يائسون تمامًا)﴿٤٤﴾ ﴾ [الأنعام] (٢).

﴿ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ ۖ (كتل الحديد الكبيرة) حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ (جانبي

(١) **ينظر**: محاولة لفهم عصري للقرآن (ص:١٢٦) .

(٢) **ينظر**: المرجع السابق (ص:٧٩) .

الجبل) ﴿قَالَ انفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾ (نحاس مذاب) ﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا﴾ [الكهف][1].

﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا﴾ (ولا يشق عليه حفظهما) ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة] [2].

وغيرها من الأمثلة.

الدراسة والنقد:

مما سبق يتضح لنا: أن الدكتور –غفر الله تعالى لنا وله– قد كتب المعنى اللغوي لبعض الألفاظ الواردة في الآية القرآنية مقحمًا إياها في نص الآية نفسها؛ مما يسبب مزجَ كلام الله–تعالى– بما ليس منه، وهذا أمر جلل.

صحيح أنه–رحمه الله تعالى– يضع الكلمة بين قوسين، إلا أنه أمر جد خطير، فلا يليق أبدًا هذا التساهل بقدسية النص القرآني.

قال الجرجاني: " من المذموم كتابة تفسير كلمات القرآن بين أسطره"[3].

وقد ذكر البيهقي أن من آداب القرآن: أن يُفَخَّمَ الْمُصْحَفُ، فَيُكْتَبَ مُفَرَّجًا بِأَحْسَنِ خَطٍّ يُقْدَرُ عَلَيْهِ، وَلَا يُخْلَطَ في المصحف ما ليس من القرآن بالقرآن، كمعاني الآيات[4].

---

(١) **ينظر**: محاولة لفهم عصري للقرآن (ص: ١٤٣) .

(٢) **ينظر**: المرجع السابق (ص:١٩٣) .

(٣) نقله عن الجرجاني: السيوطي في الإتقان في علوم القرآن– النوع السادس والسبعون: في مرسوم الخط وآداب كتابته (٤/ ١٨٦).

(٤) **ينظر**: شعب الإيمان (٣/ ٣٣٠).

فإن كان نهي العلماء عن كتابة التفسير بين السطور؛ فالنهي عن كتابته بين جمله ومفرداته أشد وآكد، أما كتابة التفسير في هوامش المصحف فهذا لا حرج فيه، وقد أجازه جمهور العلماء؛ لأمن اللبس.

الوجه الثاني:

التبسط والتساهل في استخدام العبارات أثناء تفسير معاني الآيات بطريقة لا تتناسب مع شرف ومكانة وعلو النظم القرآني.

وهذا التبسط نوعان:

أحدهما: فيما يتعلق بالذات الإلهية، والآخر: فيما يتعلق بغير ذلك.

ومن أمثلة النوع الأول ما وقع من الدكتور مصطفى محمود في كتاب [محاولة لفهم عصري للقرآن] :

فعند حديثه عن التوكل على الله في قوله- تعالى- :﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [آل عمران:١٥٩] ضرب مثالًا بحال الركاب مع **سائق القطار**، ثم قال: "... نسلم الأمر في ثقة وتوكل تام إلى **السائق الذي يقود هذه الدنيا**، ونثق في قوانينه، وهو الله القادر **الذي تفوق قدرته ومهارته مهارة جميع السائقين**" (١).

وعند ذكره لقوله-تعالى-: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء:٤٨] قال:"لأن الشرك **أشبه بانقطاع الحبل السُّرِّي الذي يفصم الصلة بين الجنين ومصدر حياته، بين الإنسان والله...**" (٢) .

ثم يتبسط مرة أخرى في الأسلوب فيصف فعل الله -تعالى- بما لم يصف به نفسه-سبحانه-، ففي معرض حديثه-رحمه الله تعالى- عن

(١) **ينظر**: محاولة لفهم عصري للقرآن (ص: ١٨٨) .

(٢) **ينظر**: المرجع السابق (ص: ٩١) .

قضية دارون مبينًا خطأها قال: "وهذا الخطأ الذي وقع فيه دارون حينما قال: إن عوامل التطور هي عوامل داخلية ... دون يد هادية ترشدها... لمجرد أنه لا يرى يد الصانع الخالق **وهي تهندس** وتخلق"(١).

ومن أمثلة النوع الثاني:

تعبيره –رحمه الله وعفا عنه– **عن الأمور الغيبية بالطلاسم**، فيقول: "انفراد القرآن بتخصيص سور طويلة يتلو فيها أنباء وأخبارًا وحقائق هي طلاسم من الغيب المحجب، ... **وأمثال هذه الطلاسم**: الملائكة، والجن، والساعة، والعرش، والكرسي، والصراط، والجنة، والميزان، واللوح، والقلم، والبرزخ" (٢) .

وكذلك استخدامه لتعبيرات أكثر تبسطًا لا تليق بالحديث عن شأن النبوة وما يتعلق بها؛ حتى وإن كان ذلك أثناء رده وتشنيعه على البهائية التي ادعى زعيمها أنها دينًا أُلْقِيَ عليه من الله–تعالى–.

يقول الدكتور مصطفى محمود – رحمه الله تعالى–: " إنها اختلافات النبي الذي أراد أن يدخل **منتدى الأنبياء** بلا مؤهلات، ويتسلل إلى مائدة الخالدين دون أن يمتحن، فأنكر المعجزة والغيب حتى لا يطالبه أحد **بأوراق اعتماده** في **السفارة الإلهية** التي ادعاها" (٣) .

الدراسة والنقد:

إن المتأمل في الأمثلة السابقة الواردة في كتاب الدكتور مصطفى محمود–غفر الله تعالى لنا وله– يجده قد تبسط وتساهل في استخدام العبارات فيما يخص وصف ما يتعلق بالذات الإلهية والغيبيات وغيرها.

---

(١) **ينظر** محاولة لفهم عصري للقرآن (ص: ٤٧) .

(٢) **ينظر**: المرجع السابق (ص: ١٢٦) .

(٣) **ينظر**: المرجع السابق (ص: ١٢٢) .

فاستخدم لفظ (يهندس) لوصْفِ دقة صنع الخالق –تعالى–، ووصَفَ الغيبيات بأنها (طلاسم)، ثم تساهل أكثر في العبارات حين قال: (منتدى الأنبياء)، و(السفارة الإلهية)، و(سائق القطار)، والتشبيه بـ(الحبل السري).

وهذا التبسط في استخدام عبارات مثل ذلك عند تفسير النص القرآني لا شك أنه يخرج المعنى ويناى به بعيدًا عن روح القرآن الكريم وقدسيته، وجلال معانيه، وفخامة نظمه، وروعة بيانه، وعظيم هداياته.

كما أن الإفراط في استخدام العبارات المتساهلة يؤدي إلى تفسيرات غير صحيحة ومخالفة تمامًا للنصوص القرآنية.

فنجده–رحمه الله تعالى وعفا عنه– عند تفسيره لقوله –تعالى–: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩ ﴾ [**العنكبـــوت**] يقول: " ولهذا السبب أيضًا– لعدم القهر والجبر– أخفى الله–تعالى– نفسه في الإنجيل، **وأخفى نفسه في القرآن**؛ لأنه لم يرد أن يلجمنا بالتجلي القاطع الفاصل فيقهرنا على الإيمان قهرًا " (١).

فعبارته بأن الله–تعالى– أخفى نفسه في القرآن، فيها تساهل وتبسط لا يليق بالذات العلية، فضلًا أن معناها مخالف لما امتلأت به نصوص القرآن الكريم من أسماء الله –تعالى– وصفاته وأفعاله–ﷻ–.

وخلاصة ما سبق: أن القرآن الكريم له قدسية خاصة، ينبغي على من يُقدِم على تفسيره أن يحفظ للنصوص القرآنية هيبتها ووقارها، فينقي من الألفاظ والعبارات ما يبين المعنى ويوضحه ويليق بجلال ومكانة كلام الله–ﷻ–.

****

(١) **ينظر**: محاولة لفهم عصري للقرآن (ص: ٣٧) .

سابعًا: التكلف في ربط مدلول النص القرآني بنظريات العلم الحديث:

إن المفسر الذي يتكلف في ربط نصوص الوحي وتوجيهها نحو الإعجاز العلمي قد يوقعه ذلك في خطأ كبير؛ ذلك لأن النظريات العلمية الحديثة في تغير وتطور مستمر عبر العصور والأزمان.

لذا؛ ينبغي على كل مسلم أن يعلم أن القرآن الكريم في أصله كتاب هداية، فيجب تفسير الآيات القرآنية على هذا الأساس، ثم بعد ذلك يذكر المفسر ما قد يكون في الآية الكريمة من إشارات علمية بشرط كونها قد صارت حقائق علمية ثابتة لا مجال فيها للتغيير، وليست نظريات في طور الدراسة والتحقيق.

وسأسوق عدة أمثلة على ذلك من خلال كتاب :[محاولة لفهم عصري للقرآن] للدكتور مصطفى محمود:

عند تفسيره لقوله-ﷻ-: ﴿ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ ﴾ [يس:٣٩] قال الدكتور -رحمه الله تعالى-: " وهو تشبيه حرفي للقمر الذي لا خضرة فيه، ولا ماء، ولا حياة " [(١)] .

وكذلك عند تفسيره لقوله-تعالى- :﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [يونس].

يقول الدكتور-رحمه الله تعالى-: " وفي الآية لطف وخفاء، فالله-تعالى- يقول إن الساعة تأتي ليلًا أو نهارًا، ولا تفسير لذلك إلا أن تكون

(١) **ينظر**: محاولة لفهم عصري للقرآن (ص: ٥٠) .

الأرض كروية دوارة نصفها ليل ونصفها نهار ... فإن نصف سكانها يكونون في ليل، والنصف الآخر في نهار..." [١].

وفي تفسير قوله–تعالى– : ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾[آل عمران]

قال –رحمه الله تعالى–: " الكل أسلم للقوانين الإلهية التي تجري على سننها الحياة، ونعرف الآن الكثير من هذه القوانين مثل: قانون الضغط الأوموزي، وقانون التوتر السطحي، وتماسك العمود المائي، والتوازن الكهربائي والأيوني في المحاليل، وقانون التفاضل الكميائي... وقانون رفض الفراغ، وقانون الفعل ورد الفعل ..." [٢] .

الدراسة والنقد:

<u>عند تفسير الآية الأولى</u> جزم الدكتور مصطفى محمود–رحمه الله تعالى– أن وصف القرآن لمنازل القمر بالعرجون القديم[٣] هو تشبيه حرفي للقمر حيث لا ماء، ولا خضرة، ولا حياة.

فإنه بتفسيره ذلك–رحمه الله تعالى– قد وقع في خطأ كبير؛ حيث تكلف في ربط مدلول النص القرآني بنظرية علمية حديثة كانت موجودة وقت تفسيره لتلك الآية الكريمة بأنه لا ماء ولا حياة على سطح القمر، ولكن

---

(١) **ينظر**: محاولة لفهم عصري للقرآن (ص: ١٤٦) .

(٢) **ينظر**: المرجع السابق (ص: ٩٨) .

(٣) **العُرجون**: العذِق عامة، وقيل: هو العِذق إذا يبس واعوج، وقيل: هو أصل العذِق الذي يعوج وتقطع منه الشماريخ، فيبقى على النخل يابسا. والْعِذْقُ: الْكِبَاسَةُ وَهُوَ جَامِعُ الشَّمَارِيخِ، وَالْجَمْعُ أَعْذَاقٌ. **ينظر**: عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين (٣/ ٤٨)، لسان العرب لابن منظور–مادة:(عرجن) (١٣/ ٢٨٤)، المصباح المنير للفيومي–مادة: (عذق) (٢/ ٣٩٩).

لم تبلغ تلك النظرية العلمية أن تصل حد الحقيقة العلمية الثابتة.

حيث أعلنت مؤخرًا (برابال ساكسينا) باحثة الكواكب لدى وكالة الفضاء الأمريكية (ناسا) إلى أن التلوث الذي سببته رحلات الاستكشاف البشرية على القمر على مدار الأعوام الخمسين الأخيرة هيأت نوعًا من الحياة للكائنات، وأن القطب الجنوبي للقمر قد يتوفر فيه بعض الخصائص التي تلاءم البقاء والنمو العرضي لبعض الحياة الميكروبية(١).

لذا؛ فإن الأولى والأجدر أن يكون التفسير الصحيح للآية الكريمة على جهة مشابهة القمر في آخر منازله ومراحله بالعرجون القديم، من حيث شكله في اعوجاجه وتقوسه وانحنائه إذا قدِمَ ويبِسَ، فكذلك القمر إذا كان في آخر الشهر قبل استتاره، صار في انحنائه وتقوّسه يشبه العرجون القديم، وهذا ما ذهب إليه جمهور أهل التفسير(٢).

<u>وإذا نظرنا إلى الآية الثانية</u> نرى كذلك أن الدكتور مصطفى محمود- رحمه الله تعالى- جزم وأكد بأن قوله: ﴿أَتَىٰهَآ أَمۡرُنَا لَيۡلًا أَوۡ نَهَارٗا﴾ لا تفسير لها إلا أن تكون الأرض كروية، وأن نصف سكانها في ليل والآخر في نهار.

وأرى أن هذا تكلف في ربط تفسير هذه الآية بالإعجاز العلمي للقرآن

---

(١) **ينظر**: الموقع الرسمي لمجلة NATIONAL GEOGRAPHIC العربية/علوم/فلك/الحياة على سط القمر.
https://ngalarabiya.com/article/4411113/%D8%A7%D9%84%D8%AD%D9%8A%D8%A7%D8%A9-%D8%B9%D9%84%D9%89-%D8%B3%D8%B7%D8%AD-%D8%A7%D9%84%D9%82%D9%85%D8%B1

(٢) **ينظر**: جامع البيان للطبري (٢٠/ ٥١٨)، تفسير السمعاني (٤/ ٣٧٨)، المحرر الوجيز لابن عطية (٤/ ٤٥٤).

الكريم لدرجة أن يقول: إنها لا تفسير لها إلا ما ذكره من كروية الأرض، على الرغم من أن الظاهر من قوله-تعالى-: ﴿أَتَىٰهَآ أَمۡرُنَا لَيۡلًا أَوۡ نَهَارٗا﴾ أنها تدل في ذاتها على عموم وقت إتيان العذاب والهلاك، وأنه يأت فجأة في أي وقت إما ليلًا أو نهارًا، سواء في وقت الغفلة أو اليقظة؛ إذ لا يمنع منه مانع، وذلك حتى يعتبر الناس، ولا يغترون بالدنيا ومن تمكنهم منها، ولا يكونون في مأمن منها، فإنها ستزول وتنتهي في أي وقت، وهذا هو التفسير المناسب لسياق الآية، وهو ما ذهب إليه جمهور المفسرين(١).

قال ابن عاشور: " وقوله: ﴿لَيۡلًا أَوۡ نَهَارٗا﴾ [يونس:٢٤] ترديد في الوقت؛ لإثارة التوقع من إمكان زوال نضارة الحياة في جميع الأزمنة؛ لأن الشيء الموقت بمعين من التوقيت يكون الناس في أمن من حلوله في غير ذلك الوقت" (٢).

ومن هنا يتضح لنا: عدم دقة ما ذكره الدكتور-رحمه الله تعالى- من أنه لا تفسير لهذه الآية إلا أن تكون الأرض كروية.

وأما تفسيره للآية الثالثة ففيه أيضًا تكلف شديد في ربط مدلول ظاهر نص الآية الكريمة بنظريات العلم الحديث على حسب ما عدَّدَ من قوانين ونظريات علمية حديثة، وبنى تفسير الآية عليها، كقانون الضغط الأوموزي، وقانون التوتر السطحي، والتفاضل الكيميائي، وغيرها من القوانين والنظريات العلمية الحديثة.

على الرغم من أن ظاهر النص القرآني يدل على ما ذهب إليه

(١) **ينظر**: معالم التنزيل للبغوي (٢/ ٤١٦)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ١١٤)، روح المعاني للألوسي (٦/ ٩٦).

(٢) التحرير والتنوير (١١/ ١٤٣).

جمهور المفسرين قديمًا وحديثًا من أن معنى:" ﴿وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ﴾ أي: انقاد واستسلم، وقوله: ﴿طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا﴾ الطوع: للمؤمنين، والكره: للكافرين إذا عاينوا الموت، ووقت البأس، قال–تعالى–: ﴿فَلَمۡ يَكُ يَنفَعُهُمۡ إِيمَٰنُهُمۡ لَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَاۖ﴾ [غافر:٨٥]، وقيل: عند أخذ الميثاق المتقدّم في قوله–تعالى–: ﴿أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ﴾ [الأعراف:١٧٢] قالوا: بلى، فمن سبقت له السعادة، قال ذلك طوعا، ومن سبقت له الشقاوة، قال ذلك كرها، وقيل: إقرار كل كافر بالصانع هو إسلامه كرها" [(١)].

لذا؛ دعا علماء التفسير إلى تجنب التكلف في ربط النص القرآني بنظريات العلم الحديث؛ إذ إنها قد تتغير بمرور الزمن مما قد يدعو إلى الشك والارتياب تجاه القرآن الكريم عند عامة الناس، مما يفتح بابًا في الطعن فيه، وعدم الثقة في المفسرين.

من هنا نخلص إلى: أنه لا ينبغي أن يُفسّر القرآن إلا باليقينيات العلمية، أو بالحقائق الثابتة التي ارتقت من درجة الفروض والنظريات العلمية إلى مقام اليقينيات، والذي لا يمكن أن يتطرق إليه التغيير والتبديل[(٢)].

ثامنًا: الشروع والخوض في الأمور الغيبية

إن مسألة الخوض في الغيبيات من الأمور التي ينبغي على المفسر

---

(١) **ينظر**: التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي (١/ ١٥٨)، لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن (١/ ٢٦٥)، السراج المنير للخطيب الشربيني (١/ ٢٢٩)، إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٢/ ٥٤).

(٢) **ينظر**: المنار في علوم القرآن مع مدخل في أصول التفسير ومصادره، للدكتور محمد علي الحسن (ص: ٤٠).

اجتنابها، ويكفيه فقط الوقوف على القدر الذي أخبر به النص القرآني.

إذ إن المفسر إذا أطلق العنان لنفسه في الخوض والاسترسال في الحديث عن تفاصيل الأمور الغيبية بدون دليل قاطع؛ لا شك أنه سيقع في الذلل والانحراف في التفسير، فيُفضي به إلى تأويلات وتفصيلات فاسدة، تشوه معاني القرآن الكريم، وتصرف المتلقي عن الغاية المرجوة للقرآن من ذكر تلك الغيبيات.

والذي يقرأ في كتاب :[محاولة لفهم عصري للقرآن] للدكتور مصطفى محمود-رحمه الله تعالى وغفر له- يرى أنه قد خاض في عدد من المسائل الغيبية، وأطال الحديث فيها بما تجاوز مقتضى النصوص، ومن أبرز الأمثلة على ذلك ما يلي :

المثال الأول: الخوض في قصة آدم وحواء:

نجده -غفر الله تعالى له- في سياق حديثه عن إغواء إبليس لآدم وأكله من الشجرة يقول: " وهكذا وقع عليه التكليف، وأصبح محاسبًا منذ تلك اللحظة، وحق عليه العقاب، وكان العقاب هو الطرد والإهباط من تلك الجنة إلى الأرض والنزول إلى التيه المادي.

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾﴾ [التين]

وأسفل سافلين: هي هاوية التيه المادي إلى طين المستنقعات، هذه المرة إلى مجرد جرثومة في طين الأرض إلى نقطة بدء أولى من الصفر.

وكان على آدم أن يخرج من هذا التيه المادي في انبثاق متدرج عبر خمسة آلاف مليون سنة كما تقول لنا علوم البيولوجيا، وعبر مراحل وأطوار بدأت بالخلية الأولى والأميبا، صعدا إلى الإسفنج والرخويات والقشريات

الخ..." [١] .

ثم يقول:" هناك إذن مرحلتان من خلق آدم، آدم المثال الذي خلقه الله في أحسن تقويم؛ ليكون إلى جواره في الملكوت، وآدم الأرضي الذي انبثق من ظلام المادة ومن رحم الأرض ومن أسفل سافلين حيث أُلقي به مبعدًا مطرودًا" [٢].

ثم يتحدث عن الشجرة التي أكل منها آدم فيقول:

" فإذا عدنا إلى الشجرة لنسأل ما هي؟ هل هي رمز أم حقيقة؟ وجدنا أمامنا اختلافًا كثيرًا ...وأنا أرى أنها رمز للجنس والموت اللذين تلازما في قصة البيولوجيا، حينما أخذت الكائنات الحية بطريقة التلاقح الجنسي لتتكاثر، فكتبت على نفسها طارئ الموت... وكان الشيطان يعلم أن شجرة النسل هي إيذان ببدء الموت، والطرد من جنة الخالدين، فكذب على آدم وسول له أنها شجرة الخلود بعينها، وأغراه بأن يخالط زوجه بالجسد.

ومما يدل على أن الشجرة رمز للجنس ما يروي القرآن عن آدم وحواء بعد تذوق الشجرة، وكيف بدت لهما سوءاتهما– والسوءة هي العورة– وكيف طفقا يغطيانها بأوراق الشجر خجلًا، والخجل من الأعضاء التناسلية لا يأتي إلا بعد تذوق اللذة منها... ولا يوجد ما يمنع من أن تكون الشجرة هي شجرة تؤكل بالفعل فتؤدي إلى إطلاق الهرمونات، واشتعال الرغبة الجنسية، ومن ثم تلقي بآدم إلى المخالطة الجنسية وتكون الآية صادقة حرفيًّا ومجازا"[٣].

ثم يعقب الدكتور مصطفى محمود–غفر الله تعالى– بعد ذلك قائلًا:

" ولا يمكننا القطع في هذه المسائل، ويجب أن الشجرة ما زالت لغزًا،

---

(١) **ينظر**: القرآن محاولة لفهم عصري (ص: ٥٧) .

(٢) **ينظر**: المرجع السابق (ص: ٥٩) .

(٣) **ينظر**: المرجع السابق (ص: ٦١: ٦٣) .

وأن قصة الخلق ما زالت من أمور الغيب لا نستطيع أن نقول فيها أكثر من الاجتهاد، والله أعلم بكتابه، وهو وحده الذي يعلم تأويل ما فيه" [١].

الدراسة والنقد:

يظهر لنا مما سبق: خوض الدكتور مصطفى محمود في تفاصيل غيبية لمسألة خلق آدم-عليه السلام-، بعد هبوطه من الجنة، حيث زعم أنه صار مجرد جرثومة من الطين خرجت من المستنقعات ثم تطورت عبر خمسة ملايين سنة في مراحل مختلفة من الأميبا والاسفنج والقشريات وغيرها.

والعجيب أنه استند في حديثه عن ذلك إلى قوله-تعالى-:

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾﴾ [التين]

مفسرًا قوله: ﴿أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ بأنه خلق آدم في المرة الأولى قبل الهبوط من الجنة، ومفسرًا قوله: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ﴾ بأنها المرحلة الثانية من خلق آدم، على هيئة جرثومة من طين المستنقعات مرت بمراحل عبر خمسة ملايين سنة في أطوار من الأميبا والرخويات والقشريات وغيرها.

التفسير الصحيح للآية:

بالرجوع إلى كتب التفسير لم أجد أحدًا على الإطلاق من علماء التفسير المعتبرين القدامى أو المحدثين فسر تلك الآيتين بما فسره الدكتور مصطفى محمود، لا من قريب ولا من بعيد.

بل فسروا الآية الأولى بحسن الصورة والهيئة[٢]، ومنهم من فسرها

---

(١) **ينظر**: القرآن محاولة لفهم عصري (ص: ٦٣) .

(٢) **ينظر**: مجاز القرآن لأبي عبيدة (٢/ ٣٠٣)، تفسير القرطبي (٢٠/ ١١٤)، لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن (٤/ ٤٤٤).

بحسن العقل، والفهم، والفطرة[١].

قال ابن عطية: "والصواب: أن جميع هذا هو حسن التقويم" [٢].

أما الآية الثانية وهي قوله: ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴾: فإنهم فسروها بالرد إلى أرذل العمر[٣]، ومنهم من فسرها بالهبوط في نار جهنم لمن كفر وانتكست فطرته السليمة التي خُلِق عليها من الإيمان إلى الكفر، ومن الخير إلى الشر[٤].

وقد رجح الطبري تفسير ﴿أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴾ بالرد إلى أرذل العمر، حيث الهِرم والكِبَر وذهاب العقل؛ مبينًا سبب ترجيحه لهذا المعنى قائلًا:

" وإنما قلنا: هذا القول أولى بالصواب في ذلك؛ لأن الله- تعالى ذِكره- أخبر عن خَلقه ابن آدم، وتصريفه في الأحوال؛ احتجاجًا بذلك على مُنكري قُدرته على البعث بعد الموت، ألا ترى أنه يقول: ﴿ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ۝٧ ﴾ [التين]، يعني: بعد هذه الحُجَج" [٥]، أي أنه- ﷻ-احتج عليهم بما يشاهدونه ولا ينكرونه، من الخَلق في أحسن هيئة، ثم الرد إلى أرذل العمر، والشيخوخة، والخَرَف.

كما أن القرآن الكريم قد بيَّن بيانًا واضحًا أن خَلق آدم منذ البداية

---

(١) **ينظر**: الكشف والبيان عن تفسير القرآن للثعلبي (١٠/ ٢٤٠) منقولا عن أبي بكر ابن ظاهر، مفاتيح الغيب للرازي (٣٢/ ٢١٢) منسوبا للأصم.

(٢) المحرر الوجيز (٥/ ٥٠٠).

(٣) **ينظر**: معاني القرآن للفراء (٣/ ٢٧٦)، جامع البيان للطبري (٢٤/ ٥١٠)، التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي(٢/ ٤٩٥).

(٤) **ينظر**: أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي (٥/ ٣٢٣)، إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٩/ ١٧٥).

(٥) جامع البيان للطبري (٢٤/ ٥١٠).

كان من طين، ولم يكن ذلك عقوبة له بعد الإهباط من الجنة.

قال –تعالى– في سورة [ص]: ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾

ثم إن القرآن الكريم لم يذكر أنه أعاد خلق آدم مرة أخرى بعد الهبوط إلى الأرض على خلاف ما ذكره الدكتور مصطفى محمود–رحمه الله تعالى–.

وأما ما ذكره الدكتور في شأن الشجرة التي أكل منها آدم وحواء، وأنها تُطلِق هرمونات ترتبط بالشهوة والجنس، وتفسيره لكشف السوءات بعد الأكل منها بأنه نتيجة شعور بالخجل بسبب تجربة جسدية، **لا شك أنها تأويلات تدخل في باب التكلف والتجرؤ على الغيب، فضلًا عن افتقارها إلى مستند شرعي معتبر.**

إن الخوض في التفصيلات الغيبية، وتحميل النصوص ما لا تحتمله، يُفضي إلى تفسيرات فاسدة لا تليق أبدًا بجلال الوحي، ومقاصد النص القرآني الصحيحة، وتتنافى مع أدب التسليم للقدْر الذي ذكره الله–ﷻ– لنا في تلك الأمور الغيبية.

ومعلوم أنه: " لا يصح حمل الآية على تفسيرات وتفصيلات مغيبة لا دليل عليها من القرآن، أو السنة " (١).

ولذا؛ فإن المتتبع لأهل التفسير عند حديثهم عن الشجرة فإنهم ذهبوا إلى الوقوف على القدر الذي ذكره القرآن، بأن الله –تعالى– نهى آدم وحواء عن شجره بعينها، فأكلا منها، فكانت العقوبة، وأن معرفة نوع الشجرة علم

(١) **ينظر**: قواعد الترجيح لحسين الحربي (٢٢٥/١).

لا يُنتفع به، كما لا يضر الجهل به، ولو كان العلم بها نافعًا لأعلمنا الله- تعالى- بها، ولم يبهمها، لكن الله-تعالى-لم يضع لعباده دليلًا على تعيينها لا في القرآن ولا في السنة الصحيحة، فأنى يتأتى لأحد ذلك؟!(١).

قال القاسمي:

" لم يرد في القرآن المجيد، ولا في السنة الصحيحة تعيين هذه الشجرة؛ إذ لا حاجة إليه؛ لأنه ليس المقصود تعرف عين تلك الشجرة، وما لا يكون مقصودا، لا يجب بيانه" (٢).

ومما يدعو إلى التعجب أن الدكتور مصطفى محمود- رحمه الله تعالى وغفر له- مع خوضه في غيبيات مسألة الخلق وتفسيرها برأيه؛ ختم كلامه بأنها أمور غيبية لا يعلم تأويلها إلا الله-ﷻ- ، ولا يمكن القطع فيها بقول.

وكان الأجدر به-غفر الله تعالى له وعفا عنه- ألا يخوض فيها ابتداءً؛ لأن ما ذكره الدكتور مصطفى محمود من تأويلات لا تعدو كونها اجتهادات غير منضبطة، تُرد ولا يُعوَّل عليها.

ومما هو مقرر عند أهل العلم أنه: لا اجتهاد في الأمور الغيبية، وأن مردها إلى التوقيف على ما ورد من القرآن أو السنة الصحيحة.

<u>المثال الثاني: الخوض في تحديد وقت قيام الساعة</u>

وذلك في سياق حديثه عن العلامة الأخيرة-على حد تعبيره- من

---

(١) **ينظر**: جامع البيان للطبري (١/ ٥٢٠)، التفسير البسيط للواحدي (٢/ ٣٨١)، المحرر الوجيز لابن عطية (١/ ١٢٨)، البحر المحيط في التفسير لأبي حيان (١/ ٢٥٦).

(٢) **ينظر**: محاسن التأويل (١/ ٢٩٣).

علامات الساعة وهي يأجوج ومأجوج[١].

فيقول: " فإنا لو فتحنا الإصحاح العشرين من سفر الرؤيا وقرأنا ما يقوله يوحنا اللاهوتي عن يأجوج ومأجوج، فإنا نراه يقول:(متى تمت الألف سنة يحل الشيطان من سجنه، ويخرج ليضل الأمم الذين في أربع زوايا الأرض يأجوج ومأجوج؛ ليجمعهم للحرب، وعددهم مثل رمل البحر...**عندما تتم السنة الألف)**"

ثم يعقب الدكتور على رؤيا يوحنا اللاهوتي قائلًا: " ولعله يقصد الألف الثانية ميلادية، وباق عليها الآن أقل من ثلاثين سنة".

ثم يكمل حديثه فيقول:" هي أمور تثير الخيال، وهي نبوءات تتداعى الواحدة لتؤيد الأخرى، ولا نملك إلا الصمت، فمثل هذه التأويلات لا يحق لنا أن نؤولها، والوحي يقول لنا عن القرآن: ﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ﴾ [آل عمران:٧] ..." [٢]

الدراسة والنقد:

يتضح مما سبق: أن الدكتور مصطفى محمود عندما تحدث عن علامات الساعة وأن آخرها يأجوج ومأجوج أورد رواية إسرائيلية عن رؤيا يوحنا اللاهوتي والتي تتحدث عن تحديد وقت ظهورهم إذا ما تمت السنة الألف، حيث عقب الدكتور-رحمه الله تعالى- أنه قد تبقى أقل من ثلاثين سنة على ظهور يأجوج ومأجوج والذي هو من علامات الساعة.

وعلى الرغم من أنه تعقب هذا كله بأنه يلزمنا الصمت؛ لأنه لا يعلم الغيب إلا الله-تعالى-.

---

(١) **ينظر**: محاولة لفهم عصري للقرآن (ص: ١٤٣) .

(٢) **ينظر**: المرجع السابق(ص: ١٤٥) .

أقول: وكان الأحرى بالدكتور مصطفى محمود –غفر الله تعالى له– ألا يخوض في الحديث عن تحديد وقت قيام الساعة؛ لأنها من الأمور الغيبية التي لا يجوز لأحد أن يتكلم فيها.

فقد ذكر السيوطي أن كل ما يجري مجرى الغيوب، نحو: الآي المتضمنة قيام الساعة، وتفسير الروح، وغيرها فلا مساغ للاجتهاد في تفسيره، ولا طريق إلى ذلك إلا: بالتوقيف بنص من القرآن، أو الحديث، أو إجماع الأمة على تأويله [1].

وفضلًا عن كون ما ذكره الدكتور مصطفى محمود من الغيبات المنهي عن الخوض فيها، فإن تلك الرواية التي أوردها إنما هي من الإسرائيليات[2]؛ ومن القسم الذي لا تجوز روايته؛ حيث إنها تخالف صريح القرآن الكريم باستئثار الله –تعالى– بعلم الساعة.

---

(١) **ينظر**: الإتقان في علوم القرآن، النوع الثامن والسبعون: في معرفة شروط المفسر وآدابه (٤/ ٢١٧).

(٢)**الإسرائيليات**: جمع إسرائيلية، نسبة إلى بني إسرائيل، والنسبة في مثل هذا تكون لعجُز المركب الإضافي، لا لصدره، وإسرائيل هو: يعقوب–عليه السلام–، أي عبد الله، وبنو إسرائيل هم: أبناء يعقوب، ومن تناسلوا منهم فيما بعد إلى عهد موسى، ومن جاء بعده من الأنبياء حتى عهد عيسى–عليه السلام–، وحتى عهد نبينا محمد–صلى الله عليه وسلم–.

وأخبار بني إسرائيل على ثلاثة أقسام:<u>الأول:</u> ما وافق الكتاب والسنة، فهو صحيح، ويجوز ذكره والاستشهاد به؛ لإقامة الحجة عليهم من كتبهم. **<u>والثاني:</u>** ما خالف الكتاب والسنة، مثل: ما ذكروه من قصص تطعن في عصمة الأنبياء، فهذا كذب، لا تجوز روايته، وإذا ذكر فلابد من بيان كذبه وتحريفه. **<u>والثالث:</u>** مسكوت عنه، لا من هذا ولا ذاك، فيجوز رواية هذا القسم، لكن لا نؤمن به؛ لاحتمال أن يكون كذبًا، وفي ذات الوقت لا نكذبه؛ لاحتمال كونه حقًّا. **ينظر**: الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير لأبي شهبة (ص: ١٢، ١٠٦، ١٠٧).

قال الله-ﷻ-: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾ ﴾ [الأعراف:١٨٧]

وقال -تعالى-: ﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ۚ ﴾ [فصلت:٤٧].

فالقرآن الكريم يعلنها صريحة أنه -سبحانه وتعالى - وحده هو الذي لديه علم الساعة، وما يترتب عليه من وقت ظهور علاماتها، ليس ذلك لأحد سواه-ﷻ-.

وبناء عليه: فإن الدكتور مصطفى محمود أخطأ خطأ جسيمًا حينما أورد تلك الرواية؛ لأنها ليست من القسم المسكوت عنه الجائز روايته على سبيل الحكاية حتى يتعقبها الدكتور بأننا لا نملك فيها إلا الصمت-على حد تعبيره-.

بل كان لزامًا عليه أن ينكرها، بل لا يوردها أصلًا؛ لأن ذكر الروايات الإسرائيلية في التفسير لا سيما المخالفة للقرآن والسنة يُفسد على الناس عقائدهم، ويُشوش عليهم الفهم الصحيح للنصوص القرآنية، ويُضعف ثقتهم بالتفسير والمفسر؛ لخلطها بين الحق والباطل.

وقد يرى مفسر أن يوردها، ثم يعقب عليها، لكنى أرى- والله تعالى أعلم- أن الأولى بالمفسر أن يتركها وينحي تفسيره بعيدًا عنها؛ لما في ذِكرها من تثبيت أصل القصة في أذهان بعض القراء، ولما هو شائع بين عامة الناس من التلقي دون تمحيص، حتى مع تعقيب المفسر.

لذا؛ فإن الأولى: الاقتصار على الروايات الصحيحة الثابتة عن النبي-ﷺ-؛ فذاك أحفظ لمكانة النصوص القرآنية من أن يمسها التحريف، وانحراف المعاني.

وهذا ما قرره أحمد محمد شاكر حيث مال إلى تنزيه تفسير القرآن

حتى من الرويات الإسرائيلية المسكوت عنها، فيما لا دليل على صدقها أو كذبها من القرآن أو السنة، فقال:

" إن إباحة التحدث عنهم فيما ليس عندنا دليل على صدقه ولا كذبه شيء، وذِكْر ذلك في تفسير القرآن، وجعله قولًا أو رواية في معنى الآيات، أو في تعيين ما لم يُعين فيها، أو في تفصيل ما أُجمل فيها شيء آخر!! لأن في إثبات مثل ذلك بجوار كلام الله ما يوهم أن هذا الذي لا نعرف صدقه ولا كذبه مبينٌ لمعنى قول الله-سبحانه-، ومفصل لما أُجمل فيه! وحاشا لله ولكتابه من ذلك، وإن رسول الله-ﷺ-إذ أذن بالتحدث عنهم؛ أمرنا ألا نصدقهم ولا نكذبهم، فأي تصديق لرواياتهم وأقاويلهم أقوى من أن نقرنها بكتاب الله ونضعها منه موضع التفسير أو البيان؟! " [(١)].

وإلى هذا الرأي مال الدكتور الذهبي؛" لِما فيه من حماية كتاب الله-ﷻ- عن لغو الحديث، وصونًا له عن الفضول، والتزيد بما لا طائل تحته، ولا خير فيه"[(٢)].

****

تاسعًا: عدم وضوح منهجية مطردة في التفسير لدى المفسر مما يُفضي إلى التعارض والاختلاف في تفسيره:

فقد تجد مفسرًا يسير في تفسيره دون أساس علمي ومنهجي ثابت، تجده أحيانا ينفي معنى ثم يثبته، وقد ينكر طريقة ما في التفسير ثم لم يلبث أن يتبعها.

(١) **ينظر**: عمدة التفاسير عن الحافظ ابن كثير (١/ ١٤).

(٢) **ينظر**: الإسرائيليات في التفسير والحديث للدكتور محمد حسين الذهبي(ص: ١٦٧).

وهذا بالضبط ما فعله الدكتور مصطفى محمود-رحمه الله تعالى وغفر له- في كتابه :[محاولة لفهم عصري للقرآن] ، ومثال ذلك:

حينما أنكر على البهائية تفسيرهم الباطني لقوله-تعالى: ﴿ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي ﴾ [طـــه:١٨] حيث قال زعيم البهائين: إن ﴿غَنَمِي﴾ معناها : شعبي.

وإن ضم موسى يده إلى جناحه لتخرج بيضاء من غير سوء لم يكن إلا رمزًا لليد الخيرة التي قدمها موسى لفرعون.

وكذلك قول زعيمهم: إن إنزال المائدة من السماء على قوم سيدنا عيسى-عليه السلام- إنما هو رمز للغذاء العقلي الذي قدمه للناس لا أكثر.

إلى غير ذلك من الأمثلة التي أوردها الدكتور مصطفى محمود عنهم، **ثم عقب قائلا:**

وهو أمر يكشف خطورة التفسير الباطني للقرآن، وخطورة إغفال ظاهر الحروف ومقتضى الكلمات والعبارات، وكيف يمكن أن تؤدي هذه التفاسير إلى اقتلاع الدين من أساسه [١].

ثم قال: "وهذا ينتهي بنا إلى موقف في التفسير لابد من التزامه هو الارتباط بحرفية العبارة ومدلول الكلمات الظاهرة..." [٢].

مع أننا إذا رجعنا إلى موضع آخر في كتابه نجده فَعَل ما أنكره على البهائية:

ففي قوله-تعالى-: ﴿ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ ﴾-

(١) **ينظر**: محاولة لفهم عصري للقرآن (ص: ١٢٠-١٢٢) .

(٢) المرجع السابق (ص: ١٢٣) .

[طه:١٢]- يوافق الدكتور بعض المتصوفة في تفسير الآية حيث قالوا: " إن المقصود بالنعلين هما: النفس والجسد (هوى النفس وملذات الجسد)، فلا لقاء بالله إلا بعد أن يخلع الإنسان النعلين(نفسه وجسده) بالموت أو الزهد، والله يصورهما كنعلين ؛ لأنهما القدمان اللتان تخوض بهما الروح في عالم المادة، وعن طريقهما نزلت من سماواتهما إلى الأرض" [١].

الدراسة والنقد:

مما سبق يتضح جليًّا للقارئ أن: الدكتور مصطفى محمود-رحمه الله- تناقض مع نفسه، حيث إنه أنكر في الموضع الأول على البهائية تفسيرهم الباطني للقرآن الكريم، وهو مصيب في ذلك؛ لأن التفسيرات الباطنية[٢] تفتح مجالًا للخوض في تفسير القرآن الكريم بمعان لم يقصدها الشارع الحكيم، قد تؤدي إلى إدخال أهواء البشر في تفسير الوحي، فيتوسعون في تأويل النصوص بما لا تحتمله الألفاظ، فيتقوَّلون على الله ما لم يقله.

وعلى الرغم من إقرار الدكتور مصطفى محمود بذلك؛ وتصريحه إلى

---

(١) **ينظر**: محاولة لفهم عصري للقرآن (ص: ١٠٤) .

(٢) **التفسير الباطني**: يعتمد على أن للقرآن ظاهرًا وباطنًا، وأن المراد منه: باطنه دون ظاهره المعلوم من اللغة، واستند الباطنية في ذلك إلى قوله-تعالى-: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾﴾ [الحديد:١٣]، "وغرضهم الْأَقْصَى: إبطال الشرائع، فإنهم إذا انتزعوا عن العقائد موجب الظواهر قدروا على الحكم بدعوى الباطن، على حسب ما يوجب الإنسلاخ عن قواعد الدين إذا سقطت الثقة بموجب الألفاظ الصريحة، فلا يبقى للشرع عصام يرجع إليه، ويعول عليه". **ينظر**: فضائح الباطنية لأبي حامد الغزالي(ص: ١١). التفسير والمفسرون للدكتور محمد حسين الذهبي (٢/ ١٧٨).

ضرورة الارتباط بحرفية العبارة ومدلول اللفظ الظاهر إلا أنه انصرف عن الظاهر إلى التأويل بدون أيِّ قرينة تستدعي ذلك، فوافق بعض المتصوفة في تفسيرهم الباطني لمعنى النعلين[1] على الرغم من ظهور مدلول اللفظ، وعدم وجود قرينة تستدعي هذا التأويل البعيد الذي ذهبوا إليه.

وهذا مما لا شك فيه يعكس عدم وجود منهجية مطردة ضابطه لتفسير الدكتور -رحمه الله تعالى-.

وخلاصة القول: إنه من الأهمية بمكان أن يتبع المفسر منهجًا واضحًا ومحددًا ومتسقًا في تفسيره للقرآن الكريم كله، هذا المنهج يشمل القواعد والأصول التي يُعتمد عليها في فهم القرآن.

حيث إن التعارض في المنهج التفسيري لدى المفسر في المواضع المختلفة من التفسير يؤدي إلى خلل وتخبط في فهم كتاب الله -تعالى-، ويُوقع القارئ في الحيرة والاضطراب والتشوش والتشكك، وقد يصرفه ذلك عن التعلق بالقرآن الكريم، بل قد يؤول به الأمر إلى انحرافات في العقيدة، لا سيما إذا كان التعارض فيما يمس الأمور المتعلقة بأصول الدين.

****

(١) سبق وأن ذكرت أن عامة أهل التفسير ذهبوا إلى: تفسير النعلين بالمدلول الظاهر والمعروف من اللفظ، وهو ما يُلبس في القدمين وقاية من الأرض، وذلك عند الحديث عن السبب الثاني في الخطأ في التفسير بالرأي في كتاب الدكتور مصطفى محمود وهو: العدول عن ظاهر اللفظ في النص القرآني إلى التأويل بدون قرينة تستلزم ذلك.

عاشرًا: عدم الربط في التفسير بين الآيات المتفرقة في مواضع مختلفة المتعلقة بموضوع واحد:

ينبغي على المفسر الذي يتصدى لتفسير القرآن الكريم أن يكون على دراية كافية بفن (علوم القرآن)؛ لأنه يُعد من الركائز الأساسية المعينة على الفهم الصحيح للنص القرآني.

إذ إن جهل المفسر بأبواب علوم القرآن كأسباب النزول، والمجمل والمبين، والمطلق والمقيد، والناسخ والمنسوخ وغيرها، يوقعه في انحرافات تفسيرية تؤدي إلى فهم غير صحيح لمعاني الآيات ومقاصدها.

وهذا ما حدث مع الدكتور مصطفى محمود –غفر الله تعالى له– في كتابه :[محاولة لفهم عصري للقرآن] ، ومثال ذلك:

عند تفسيره لقوله–تعالى–: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ﴿١٧﴾﴾ [الحاقة:١٧] يقول: " ... ولعلها قوى كهرمغنطيسية، ألا تمسك قوانين الجاذبية بالشمس والنجوم في فضاء الكون؟ " [(١)].

الدراسة والنقد:

فسر الدكتور مصطفى محمود–رحمه الله– حملة العرش الثمانية بأنها قوى كهرومغناطسية مستندًا في كلامه إلى قوانين الكون الأرضية حيث تنظم قوانين الجاذبية المتبادلة بين الأجسام في الفضاء الاستقرار بين بعضها البعض.

هكذا ربط الدكتور تفسيره لحملة العرش بقوانين الجاذبية، مع أن الأجدر به–رحمه الله تعالى– أن يربط بين الآيات القرآنية المتعلقة بموضوع واحد.

---

(١) **ينظر**: محاولة لفهم عصري للقرآن (ص: ١٢٩) .

فلو كان قد رجع إلى موضع آخر من القرآن كسورة غافر لوجد فيها وصف حملة العرش، وبيان حقيقتهم بيانًا واضحًا صريحًا، بدلًا من اللجوء إلى تفسيرات مادية بحتة تنحرف عن الفهم السليم للنص القرآني، وتصرفه عما يشير إليه من الغيبيات.

قال- تعالى-: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ٧﴾

فدل ذلك على أن حملة العرش مخلوقات عاقلة عبر عنها باسم الموصول (الذين)، وأنها تسبح وتستغفر للمؤمنين، وتستعيذ من النار.

إذن يتضح لنا من هذه الآية الكريمة: أن حملة العرش ملائكة، وليست قوى كهرومغناطيسية، وهذا ما عليه عامة المفسرين(١).

وهذا ما يُسمى في علوم القرآن بالمجمل والمبين(٢).

فمن أراد تفسير الكتاب العزيز، طلبه أولًا من القرآن، فما أُجمل منه في مكان، فقد فُسِّر وبُيِّن في موضع آخر، وما اختُصِر في مكان بُسِط في موضع آخر منه(٣) .

من هنا نخلص إلى أن : المفسر الحق يستطيع بحفظه الجيد للقرآن

---

(١) **ينظر**: تفسير السمعاني (٦/ ٣٧)، زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي (٤/ ٣٣١)، لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن (٤/ ٦٨)، روح المعاني للألوسي(١٥/ ٥٢)،

(٢) **ينظر**: الإتقان في علوم القرآن للسيوطي، النوع السادس والأربعون: في مجمله ومبينه (٣/ ٥٩).

(٣) **ينظر**: المصدر السابق، النوع الثامن والسبعون: في معرفة شروط المفسر وآدابه (٤/ ٢٠٠).

الكريم أن يستحضر في ذهنه الآيات المتفرقة في القرآن والتي تتعلق بموضوع واحد.

ثم من خلال معرفته بعلوم القرآن يستطيع أن يفسر الآيات تفسيرًا صحيحًا، فيدرك المجمل والمبين، والمطلق والمقيد، والناسخ والمنسوخ، وغير ذلك مما يعصمه من الذلل في التفسير، ويقربه إلى المعنى المراد في النصوص القرآنية.

****

الخاتمة

الحمد لله الكريم الرحمن على ما يسر وأعان، والصلاة والسلام على النبي العدنان.

وبعد،،

فهذه أبرز النتائج التي توصلت إليها من خلال جولتي في هذا البحث:

١- التفسير بالرأي منه ما هو محمود، ومنه ما هو مذموم ، بحسب مدى التزام المفسر بضوابط التفسير الصحيحة التي وضعها العلماء.

٢- رغبة المفسر في تفسير القرآن بروح عصرية لا تجيز له التخلى عن أي من ضوابط التفسير الأصيلة.

٣- النية السليمة وحسن المقصد لا يكفيان وحدهما في إخراج تفسير صحيح للقرآن الكريم.

٤- ينبغي على من يتصدى لتفسير القرآن أن يراعي توافر العلوم الضابطة للتفسير لديه، وأن يتبع خطوات المنهج القويم الذي اعتمده العلماء المتخصصون في ذلك .

٥- على المفسر أن يحذر الخوض فيما استاثر الله-تعالى- بعلمه كالغيبيات، ويكتفي بالقَدْر الذي ذكره القرآن الكريم.

٦- الخوض في تفسير آيات أحكام الشريعة بدون علم أمر محرم وفي غاية الخطورة.

٧- يجب على المفسر أن يكون على دراية باستعمال العرب للألفاظ، لا سيما وقت نزول القرآن الكريم.

٨- على المفسير أن يتجنب التكلف في ربط النص القرآني بالعلم الحديث؛ لأن القران في أصله كتاب هداية.

٩- إن أراد المفسر إظهار جانب الإعجاز العلمي في القرآن، فينبغي أن يعتمد في ذلك بما صار حقيقة علمية ثابتة، لا النظريات العلمية التي ما زالت في طور التطوير والتغيير المستمر.

١٠-يجب على المفسر مراعاة أن القرآن الكريم هو كلام الله-ﷻ-، فينبغي أن يفسره بما يحفظ له هيبته ووقاره، ويبتعد عن التساهل في الألفاظ والعبارات التي لا تليق بمكانة القرآن.

١١-إن التفسير الصحيح للقرآن الكريم فضلًا عن كونه يحتاج لعلوم، وضوابط، وأسس منهجية إلا أنه أولًا وآخرًا فتح رباني، وإلهام إلهي، يمنحه الله-تعالى- لمن صلح عمله، وسلم قلبه من هوى النفس وزيف العقائد الفاسدة، وسلمت جوارحه من المعاصي والآثام الصارفة.

١٢-إن من أبرز أسباب وقوع الدكتور مصطفى محمود في الخطأ في التفسير بالرأي إنما يرجع إلى القصور في أدوات التفسير من علوم اللغة وأصول الفقه، وغيرها، وتأثره بالثقافة الفلسفية والفكرية ونظريات العلم الحديث، وإغفاله الضوابط التفسيرية المعتمدة والمقررة لدى العلماء، فضلًا عن الميل إلى الرأي الشخصي، والاعتماد على الخبرة الذاتية.

أهم التوصيات:

١- دراسة التفاسير التي كتبها غير المتخصص؛ للكشف عما قد يعتريها من أخطاء وخلل في الفهم والتأويل، والتنبيه عليها؛ حفاظًا على أفهام القارئين؛ حتى لا يلتبس لديهم الصحيح بالسقيم.

٢- الدعوة إلى إنشاء موسوعات نقدية تتناول أبرز التفاسير المعاصرة، ترصد مواطن الخطأ، وتكشف أسبابه؛ لتكون عونًا للباحثين والباحثات، ومرجعًا معتمدًا لهم.

وفي الختام:

أحمد الله-تعالى- أن وفقني لإتمام هذا البحث، وأسأله أن ينفع به الإسلام والمسلمين، وما كان فيه من حُسنٍ فالفضل له-وحده-، وما كان فيه من تقصير أو خطأ فأدعو الله-تعالى-أن يغفره لي، وصلى الله-تعالى- على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

****

فهرس المصادر والمراجع

أولًا: القرآن الكريم

ثانيًا: كتب التفسير وعلوم القرآن

١-**الإتقان في علوم القرآن:** لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط: ١٣٩٤هـ- ١٩٧٤م.

٢-**إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم:** لأبي السعود العمادي محمد بن مصطفى(ت: ٩٨٢هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي- بيروت.

٣-**الأساس في التفسير**: لسعيد حوّى (ت:١٤٠٩هـ)، الناشر: دار السلام – القاهرة، ط: السادسة، ١٤٢٤هـ.

٤-**الإسرائيليات في التفسير والحديث** : للدكتور محمد حسين الذهبي، الناشر: مكتبة وهبة .

٥-**الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير**: لمحمد بن محمد بن سويلم أبي شُهبة (ت: ١٤٠٣هـ)، الناشر: مكتبة السنة، ط: الرابعة.

٦-**أنوار التنزيل وأسرار التأويل:** لناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي (ت: ٦٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط: الأولى-١٤١٨هـ.

٧-**البحر المحيط:** لأبي حيان، محمد بن يوسف الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر – بيروت، ١٤٢٠ هـ.

٨-**البرهان في علوم القرآن:** لأبي عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت: ٧٩٤هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم،

الناشر: دار إحياء الكتب العربية، ثم صوَّرته دار المعرفة، بيروت- لبنان، ط: الأولى، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م.

٩-**التحرير والتنوير**: لمحمد الطاهر بن عاشور التونسي(ت : ١٣٩٣هـ)، الناشر: الدار التونسية للنشر - تونس، ١٩٨٤ هـ.

١٠-**التسهيل لعلوم التنزيل**: لأبي القاسم، محمد بن أحمد بن جزي الكلبي الغرناطي (ت: ٧٤١هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله الخالدي، الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم- بيروت، ط: الأولى، ١٤١٦هـ.

١١-**التفسير البسيط**: لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي(ت: ٤٦٨هـ)، أصل تحقيقه في ١٥رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، الناشر: عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط: الأولى، ١٤٣٠هـ.

١٢-**تفسير الجلالين**: لجلال الدين المحلي(ت:٨٦٤هـ)، وجلال الدين السيوطي(ت:٩١١) ، ومعه مختصر في أسباب النزول وفضائل القرآن، مؤسسة الرسالة ناشرون، ط: الأولى، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

١٣-**تفسير الشعراوي - الخواطر**: لمحمد متولي الشعراوي (ت: ١٤١٨هـ)، الناشر: مطابع أخبار اليوم، بدون: ط، ١٩٩٧م.

١٤-**تفسير القرآن العظيم لابن كثير**: لأبي الفداء إسماعيل بن عمر (ت: ٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م.

١٥-**تفسير القرآن للسمعاني**: لأبي المظفر، منصور بن محمد (ت: ٤٨٩هـ)، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، الناشر: دار الوطن، الرياض - السعودية، ط: الأولى، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

١٦-**التفسير الوسيط للواحدي:** أبي الحسن علي بن أحمد بن الواحدي (ت: ٤٦٨هـ)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، وغيره، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط: الأولى، ١٤١٥ هـ- ١٩٩٤ م.

١٧-**التفسير والمفسرون:** للدكتور محمد السيد حسين الذهبي (ت: ١٣٩٨هـ)، الناشر: مكتبة وهبة، القاهرة.

١٨-**تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان:** لعبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت: ١٣٧٦هـ)، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط: الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م.

١٩-**جامع البيان عن تأويل آي القرآن:** لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط: الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

٢٠-**الجامع لأحكام القرآن:** لأبي عبد الله محمد بن أحمد شمس الدين القرطبي (ت:٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، ط: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م.

٢١-**روائع البيان تفسير آيات الأحكام:** لمحمد علي الصابوني، الناشر: مكتبة الغزالي – دمشق، مؤسسة مناهل العرفان – بيروت، ط: الثالثة، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠م.

٢٢-**روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني:** لشهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت: ١٢٧٠هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي بيروت.

٢٣-**زاد المسير في علم التفسير:** لجمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن الجوزي (ت: ٥٩٧هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، ط: الأولى- ١٤٢٢هـ .

٢٤-**السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير**: لشمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني (ت:٩٧٧هـ)، الناشر: مطبعة بولاق (الأميرية) – القاهرة، بدون:ط، ١٢٨٥ هـ.

٢٥-**عمدة التفاسير عن الحافظ ابن كثير**: لأحمد محمود شاكر، الناشر: دار الوفاء، ط:٢، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

٢٦-**فتح القدير للشوكاني**: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت: ١٢٥٠هـ)، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب- دمشق، بيروت، ط: الأولى – ١٤١٤ هـ.

٢٧-**فضائل القرآن**: لأبي عبيد القاسم بن سلام (ت: ٢٢٤هـ)، تحقيق: مروان العطية، ومحسن خرابة، ووفاء تقي الدين، الناشر: دار ابن كثير (دمشق – بيروت)، ط: الأولى، ١٤١٥ هـ -١٩٩٥ م.

٢٨-**قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين بن علي بن حسين الحربي، الناشر**: دار القاسم-الرياض، ط: الأولى، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

٢٩-**الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**: لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، ط: الثالثة – ١٤٠٧ هـ.

٣٠-**الكشف والبيان عن تفسير القرآن**: لأبي إسحاق، أحمد بن محمد الثعلبي(ت: ٤٢٧هـ)، تحقيق: أبي محمد ابن عاشور، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، ط: الأولى ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م.

٣١-**لباب التأويل في معاني التنزيل**: لعلاء الدين علي بن محمد، المعروف بالخازن (ت: ٧٤١هـ)، تحقيق: تصحيح محمد علي شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى – ١٤١٥هـ.

٣٢-**مباحث في علوم القرآن**: لصبحي الصالح، الناشر: دار العلم للملايين، ط: ٢٤، يناير ٢٠٠٠م.

٣٣-**مجاز القرآن:** لأبي عبيدة معمر بن المثنى (ت: ٢٠٩هـ)، تحقيق: محمد فواد سزگين، الناشر: مكتبة الخانجى- القاهرة، بدون: ط، ١٣٨١ هـ .

٣٤-**محاسن التأويل للقاسمي:** محمد جمال الدين بن محمد سعيد القاسمي (ت: ١٣٣٢هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى – ١٤١٨ هـ.

٣٥-**المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز:** لأبي محمد عبد الحق بن عطية (ت: ٥٤٢هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى – ١٤٢٢ هـ.

٣٦-**مختصر في قواعد التفسير:** لخالد بن عثمان السبت، الناشر: دار ابن القيم- دار ابن عفان، ط: الأولى ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.

٣٧-**مدارك التنزيل وحقائق التأويل:** لأبي البركات عبد الله بن أحمد حافظ الدين النسفي (ت: ٧١٠هـ)، حققه: يوسف علي بديوي، الناشر: دار الكلم الطيب- بيروت، ط: الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م.

٣٨-**معالم التنزيل في تفسير القرآن:** لمحيي السنة أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت: ٥١٠هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي –بيروت، ط : الأولى، ١٤٢٠ هـ.

٣٩-**معاني القرآن للفراء:** أبي زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (ت: ٢٠٧هـ)، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي، وغيره، الناشر: دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر، ط: الأولى.

٤٠-**مفاتيح الغيب = التفسير الكبير:** لأبي عبد الله محمد بن عمر الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت:٦٠٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط: الثالثة،١٤٢٠ هـ.

٤١-**المفردات في غريب القرآن:** للراغب الأصفهانى، أبي القاسم الحسين بن محمد (ت: ٥٠٢هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، ط: الأولى – ١٤١٢ هـ.

٤٢-**مقدمة في أصول التفسير:** لأبي القاسم بن محمد ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ)، الناشر: دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ط: ١٤٩٠هـ-١٩٨٠م .

٤٣-**المنار في علوم القرآن مع مدخل في أصول التفسير ومصادره:** للدكتور محمد علي الحسن، الناشر: موسسة الرسالة – بيروت، ط: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠م.

٤٤-**مناهل العرفان في علوم القرآن:** لمحمد عبد العظيم الزُّرْقاني(ت: ١٣٦٧هـ)، الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط: الثالثة.

٤٥-**نظم الدرر في تناسب الآيات والسور:** لإبراهيم بن عمر بن حسن الرباط البقاعي (ت: ٨٨٥هـ)، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

٤٦-**نفحات من علوم القرآن:** لمحمد أحمد محمد معبد (ت: ١٤٣٠هـ)، الناشر: دار السلام – القاهرة، ط: الثانية: ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م.

٤٧-**النكت والعيون** لأبي الحسن علي بن محمد الشهير بالماوردي (ت: ٤٥٠هـ)، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان.

ثالثًا: كتب الحديث وعلومه

١- **تغليق التعليق على صحيح البخاري:** لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)، تحقيق: سعيد عبد الرحمن موسى القزقي، الناشر: المكتب الإسلامي ، دار عمار – بيروت ، عمان – الأردن، ط: الأولى، ١٤٠٥هـ.

٢- **جامع الأصول في أحاديث الرسول:** لمجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن الأثير (ت : ٦٠٦هـ)، تحقيق : عبد القادر الأرنؤوط، وغيره، الناشر: مكتبة الحلواني – مطبعة الملاح – مكتبة دار البيان، ط : الأولى، الجزء [٦ ، ٧] : ١٣٩١هـ – ١٩٧١ م .

٣- **سنن ابن ماجه** : لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت: ٢٧٣هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وغيره، الناشر: دار الرسالة العالمية، ط: الأولى، ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م.

٤- **سنن الترمذي:** لأبي عيسى، محمد بن عيسى بن سَوْرة الترمذي(ت: ٢٧٩هـ)، تحقيق:أحمد محمد شاكر وغيره، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي– مصر، ط: الثانية، ١٣٩٥هـ – ١٩٧٥ م.

٥- **شعب الإيمان:** البيهقي، أحمد بن الحسين بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني(ت: ٤٥٨هـ)، تحقيق: د. عبد العلي عبد الحميد حامد، وغيره، الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض، بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، ط: الأولى، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٣ م.

٦- **صحيح البخاري= جامع الصحيح المختصر:** لمحمد بن إسماعيل أبي عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق د. مصطفى ديب البغا، الناشر دار ابن كثير، اليمامة– بيروت، بدون: ط، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.

٧- **صحيح مسلم=** المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله : لمسلم بن الحجاج النيسابوري (ت:٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٨- **المستدرك على الصحيحين:** لأبي عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن حمدويه(ت: ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى، ١٤١١هـ – ١٩٩٠م.

رابعًا: كتب العقيدة والفرق

١- **فضائح الباطنية:** لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي (ت: ٥٠٥هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بدوي، الناشر: مؤسسة دار الكتب الثقافية – الكويت، بدون: ط.

خامسًا: كتب الفقه وأصوله والفتاوى

١- **الإبهاج في شرح المنهاج:** لتقي الدين السبكي، علي بن عبد الكافي، الناشر: دار الكتب العلمية –بيروت، عام النشر: ١٤١٦هـ- ١٩٩٥م.

٢- **إرشاد الفحول إلي تحقيق الحق من علم الأصول:** لمحمد بن علي الشوكاني (ت: ١٢٥٠هـ)، تحقيق: الشيخ أحمد عزو عناية، الناشر: دار الكتاب العربي، ط: الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

٣- **أصول الفقه الذي لا يسع الفقيه جهله:** لعياض السلمي، الناشر: دار التدمرية، الرياض- السعودية، ط: الأولى، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥ م.

٤- **حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع:** :لحسن بن محمد بن محمود العطار الشافعي (ت ١٢٥٠هـ) ، الناشر: دار الكتب العلمية، بدون طبعة، وبدون تاريخ

٥- **المختصر في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل:** لابن اللحام، علاء الدين الدمشقي الحنبلي (ت: ٨٠٣هـ)، تحقيق: د. محمد مظهربقا، الناشر: جامعة الملك عبد العزيز - مكة المكرمة، بدون: ط.

٦- **مقاصد الشريعة الإسلامية:** لمحمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣هـ)، تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة، الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، بدون: ط، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م .

٧- **المنثور في القواعد الفقهية:** للزركشي: أبي عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله (ت: ٧٩٤هـ)، الناشر: وزارة الأوقاف الكويتية، ط: الثانية، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٨- **الموافقات: للشاطبي،** إبراهيم بن موسى الغرناطي (ت: ٧٩٠هـ)، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الناشر: دار ابن عفان، ط: الأولى، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م.

سادسًا: كتب المعاجم واللغة

١- **تاج العروس من جواهر القاموس:** لمحمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، الملقّب بمرتضى الزَّبيدي (ت: ١٢٠٥هـ) تحقيق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية.

٢- **عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ:** للسمين الحلبي، شهاب الدين أحمد بن يوسف بن عبد الدائم (ت: ٧٥٦ هـ)، تحقيق: محمد باسل، الناشر: دار الكتب العلمية، ط: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م .

٣- **كتاب التعريفات:** لعلي بن محمد الشريف الجرجاني (ت: ٨١٦هـ)، تحقيق: جماعة من العلماء، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت -لبنان، ط: الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.

٤- **لسان العرب:** لمحمد بن مكرم بن على، جمال الدين ابن منظور (ت: ٧١١هـ)،الناشر: دار صادر - بيروت، ط: الثالثة - ١٤١٤ هـ.

٥- **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير:** لأحمد بن محمد الفيومي الحموي، (ت: نحو ٧٧٠هـ)، الناشر: المكتبة العلمية - بيروت.

٦- **معجم اللغة العربية المعاصرة:** للدكتور أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل، الناشر: عالم الكتب، ط: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.

٧- **المعجم الوسيط:** لمجمع اللغة العربية بالقاهرة ، الناشر: دار الدعوة، بدون ط.

٨- **مقاييس اللغة:** لأحمد بن فارس، أبي الحسين (ت: ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

سابعًا: كتب أخرى

١- **إعلام الموقعين عن رب العالمين:** لابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩١م .

٢- **محاولة لفهم عصري للقرآن:** للدكتور مصطفى محمود (ت:٢٠٠٩م)، منتدى سور الأزبكية WWW.BOOKS4ALL.NET .

ثامنًا: المواقع الالكترونية

١- الموقع الرسمي لمجلة NATIONAL GEOGRAPHIC العربية/علوم/ فلك/الحياة على سط القمر.
https://ngalarabiya.com/article/4411113/%D8%A7%D9%84%D8%AD%D9%8A%D8%A7%D8%A9-%D8%B9%D9%84%D9%89-%D8%B3%D8%B7%D8%AD-%D8%A7%D9%84%D9%82%D9%85%D8%B1

٢- الموقع الإلكتروني ويكبيديا:
https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%85%D8%B5%D8%B7%D9%81%D9%89_%D9%85%D8%AD%D9%85%D9%88%D8%AF

***

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	١٢٩
المحبث الأول: التفسير بالرأي	١٣٣
المطلب الأول: مفهوم التفسير بالرأي، وأقوال العلماء فيه.	١٣٣
المطلب الثاني: شروط التفسير بالرأي.	١٤١
المبحث الثاني: أسباب الخطأ في التفسير بالرأي من خلال كتاب الدكتور مصطفى محمود[محاولة لفهم عصري للقرآن] دراسة نقدية	١٤٧
المطلب الأول: نبذة عن المؤلف، وفكرة عن الكتاب ومحتواه.	١٤٧
المطلب الثاني: أسباب الخطأ في التفسير بالرأي من خلال كتاب الدكتور مصطفى محمود [محاولة لفهم عصري للقرآن] دراسة نقدية، مع التمثيل.	١٥١
الخاتمة	١٩٨
فهرس المصادر والمراجع	٢٠٠
فهرس الموضوعات	٢١٠